

تعليقاتٌ على

«الأصول الثلاثة»

الشيخ عبد الرزاق البدر

النسخة الإلكترونية الأولى

الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الأول

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.
أَمَّا بَعْدُ..

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ..

هَذِهِ مَذَاكِرَةٌ حَوْلَ أَصُولٍ ثَلَاثَةٍ عَظِيمَةٍ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَعْلَمَ بِهِنَّ وَأَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَلَا يُذَاقُ طَعْمُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِنَّ، كَمَا قَالَ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا»، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، وَجَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «ذَكَرَ الْمَيِّتَ إِذَا أُدْخِلَ الْقَبْرَ، وَأَنَّهُ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَسْأَلَانِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟».

فَهَذِهِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ عَظِيمَةٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِهَا، وَأَنْ يَجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى تَحْقِيقِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا لِيَسْعِدَ فِي دُنْيَاهِ وَأُخْرَاهِ، وَلِيَفُوزَ بِرِضَا رَبِّهِ وَمَوْلَاهِ، وَلِيَنْجُوَ مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ وَمِنَ النَّارِ.

وَيَبِينُ أَيْدِينَا جَمِيعًا رِسَالَةً قِيَمَةٌ كَتَبَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَبْيِينِ هَذِهِ الْأَصُولِ وَتَوْضِيحِهَا وَتَقْرِيرِهَا بِأَدَلَّتِهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَدْ كَتَبَهَا بِأَسْلُوبٍ مَبْسُوطٍ وَأَلْفَاظٍ وَاضِحَةٍ حَتَّى تَتَسَنَّى وَتَتَهَيَّأَ الْإِسْتِفَادَةُ التَّامَّةُ مِنْ هَذِهِ الْأَصُولِ مِنَ الْمَبْتَدِئِينَ وَعَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ، وَنَسْتَقْرَأُ هَذِهِ الْأَصُولَ وَأَعْلَقُ عَلَيْهَا تَعْلِيقًا يَسِيرًا مُخْتَصَرًا رَاجِعِينَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا نَتَعَلَّمُهُ حِجَّةً لَنَا لَا عَلَيْنَا، وَأَنْ يُصْلِحَ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمِيعٌ مُجِيبٌ قَرِيبٌ.



قال الإمام المُجَدِّد مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الأصول الثلاثة»:

الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ..

فَاعْلَمُوا وَفَقِّكُمْ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنِّبْكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ، أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ مَعْرِفَةَ ثَلَاثَةِ أَصُولٍ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ.

بدأ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هذه الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصِرَةَ بِحَمْدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وعلى آل بيته وصحبه الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجمعين.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: (فَاعْلَمُوا وَفَقِّكُمْ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنِّبْكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ)، بدأ أولاً بقوله: (فَاعْلَمُوا) وهي كلمة يُؤْتِي بها بين يدي الأمور العظيمة والمهمّة استدعاءً لانتباه الإنسان وتنبهها له إلى أن ما سِيلْقَى عليه علمٌ عظيمٌ وأمرٌ مهمٌّ ينبغي أن يحرص على حُسن الاستفادة منه، ويأتي في القرآن في مواضع كثيرة منه الإتيان بهذه اللفظة بين يدي الأمور العظيمة كقوله جلَّ وعلا: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد: ١٩]، ولهذا نظائر عديدة في كتاب الله جلَّ وعلا.

وقوله هنا: (فَاعْلَمُوا وَفَقِّكُمْ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنِّبْكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ) هذه دعوة عظيمة جامعة يدعو بها رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لعموم المسلمين، وهذه من طريقة الناصحين؛ النَّاصِح يُرْشِدُكَ إِلَى الْخَيْرِ ويدعو لك بالخير، وهذا دأبه رَحِمَهُ اللهُ وطريقته في عموم مصنفاته ومؤلفاته.

قال: (فَاعْلَمُوا وَفَقِّكُمْ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنِّبْكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ) وهذه حقيقة تقوى الله جلَّ وعلا أي أن يكون العبد محافظاً على فعل الأوامر التي ينال بها رضى الله، وأن يكون مجتنباً ومبتعداً عن النواهي التي ينال الإنسان بفعلها سخط الله جلَّ وعلا.

والعبد على خيرٍ عظيمٍ ما دام حريصاً على فعل الأوامر واجتناب النواهي.

وقد سُئِلَ بعض السَّلف عن حقيقة تقوى الله جلَّ وعلا فقال: (هي العمل بطاعة الله على نورٍ من الله رجاء ثواب الله، وترك معصية الله على نورٍ من الله خيفة عذاب الله).

فهذه دعوى عظيمة مباركة استهل بها رَحِمَهُ اللهُ هذه الرِّسَالَةَ قال: (فَاعْلَمُوا وَفَقِّكُمْ اللهُ لِمَرَاضِيهِ، وَجَنِّبْكُمْ طَرِيقَ مَعَاصِيهِ)، وقوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَفَقِّكُمْ اللهُ) هذا فيه التَّنبِيهِ إلى أن التَّوْفِيقَ بيد الله ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود: ٨٨]، فالتَّوْفِيقُ بيد الله لن يستطيع العبد فعل شيءٍ من مراضى الله ولا البُعد عن شيءٍ من مساخطه سبحانه إِلَّا إذا وَفَّقَهُ اللهُ وَأَعَانَهُ ﷻ، ولهذا كان الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يقولون:

لَوْ لَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فالتَّوْفِيقُ بيده جلَّ وعلا، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله العليِّ العظيم.

ثُمَّ قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ مَعْرِفَةُ ثَلَاثَةِ أَصُولٍ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ). هَذَا وَاجِبٌ مُتَحْتَمٌّ، وَاجِبٌ عَيْنِيٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُ؛ بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَكَلَّفٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ، لَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ الَّذِي فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ مِنَ الْعُلُومِ الْكِفَائِيَّةِ الَّتِي إِذَا تَعَلَّمَهَا بَعْضُ النَّاسِ سَقَطَ الْفَرَضُ عَنِ الْبَاقِينَ؛ بَلْ هَذَا فَرَضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؛ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْأَصُولَ؛ لِأَنَّهُ سَيُسْأَلُ عَنْهَا وَسَيَحَاسِبُ عَلَيْهَا، وَسَيُلْقَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيُسْأَلُ عَنْ هَذِهِ الْأَصُولِ. وَلِهَذَا مِنَ الْخَيْرِ لِلْمُسْلِمِ، مِنَ الْخَيْرِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَغْنَمَ وَجُودَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيَأْخُذَ هَذَا الزَّادَ الْعَظِيمَ الْمُبَارَكَ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ.

وَقَوْلُهُ هُنَا: (وَالْعَمَلُ بِهِنَّ) تَنْبِيْهُ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي، الْعِلْمُ بِهِذِهِ الْأَصُولِ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي؛ بَلْ لَا بَدَّ مَعَ الْعِلْمِ بِهِذِهِ الْأَصُولِ الْعَمَلُ، وَمَقْصُودُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ، فَيَتَعَلَّمُ الْعَبْدُ هَذِهِ الْأَصُولَ لِيَجَاهِدَ نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهَا عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْأَصُولِ وَتَتِمِيمِهَا وَتَكْمِيلِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(الأصل الأول)

في معرفة العبد ربه

فَإِذَا قِيلَ لَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ الَّذِي رَبَّانِي بِنِعْمَتِهِ، وَخَلَقَنِي مِنْ عَدَمٍ إِلَى وُجُودٍ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

الأصول الثلاثة هي: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ، هذه الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلم بهن وأن يعمل بهن.

بدأ رَحِمَهُ اللهُ ببيان الأصل الأول وهو أعظم الأصول وأجلُّها على الإطلاق، وهو (معرفة العبد ربه) وخالقه وسيده ومولاه بأنه جلَّ وعلا وحده الخالق الرّازق المنعم المتصرّف المدبّر، وأنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه جلَّ وعلا.

فهذا أعظم الأصول وأجل العلوم وأفضل المقاصد على الإطلاق، ولهذا بدأ المصنّف رَحِمَهُ اللهُ تعالى بهذا الأصل العظيم قال: ((الأصل الأول) في معرفة العبد ربه) يعني ما هي الأمور التي تحتاجها في هذا المقام، في مقام تحقيق هذا الأصل ألا وهو معرفة الله.

قال: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ) وستكون الرسالة كاملة على طريقة السؤال والجواب تيسيراً للفائدة وتسهيلاً للمقصود.

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ) أَيُّهَا الْمُسْلِمُ: (مَنْ رَبُّكَ؟) ماذا تقول؟ قال: (فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي بِنِعْمَتِهِ، وَخَلَقَنِي مِنْ عَدَمٍ إِلَى وُجُودٍ)، (رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي) أي: ربّاني بالصّحة، ربّاني بالغذاء، ربّاني بالمال، بالمسكن، ربّاني بالحركة والقيام والقعود، ربّاني أعظم تربية بأن هداني إلى الإسلام، وأخذني إلى هذا الطريق المبارك، يسّر لي وجعلني من أهله (الَّذِي رَبَّانِي بِنِعْمَتِهِ) و(نعمة) هنا مفردٌ مُضافٌ إلى الله ﷻ فيعمُّ؛ أي: بنعمه ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قال: (فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي بِنِعْمَتِهِ، وَخَلَقَنِي مِنْ عَدَمٍ إِلَى وُجُودٍ)، لم أكن شيئاً مذكوراً، لم يكن لي وجودٌ أصلاً، وأوجدني الله من العدم ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ (١) [الإنسان]، كل واحد منا لم يكن شيئاً فأوجده الله ﷻ من العدم، أوجده في هذه الحياة الدنيا، أمده بالجسم والصّحة والعافية والمال والمسكن (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي بِنِعْمَتِهِ) والذي أوجدني من العدم وخلقني بعد أن لم أكن.

فإذا قيل: ما الدليل؟ الأدلة على ذلك كثيرة، من هذه الأدلة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ الرّبُّ هو الخالق المالك الرّازق المدبّر المتصرّف، هذا معنى الرّبِّ الذي بيده تدبير الأمور وتصريف الأحوال، بيده القبض والبسط والعطاء والمنع والخفض والرفع، بيده الملك، بيده الخير، ﴿فَأَعْبُدُوهُ﴾ أي كما أنه ﷻ تفرد بالربوبية لا شريك له في الملك، ولا شريك له في الخلق، ولا شريك له في الرزق، لا شريك له في التدبير، في الإحياء، في الإماتة، في التّصرّف في

هذا الكون، كما أنَّه لا شريك له في شيءٍ من ذلك ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾، أي أفردوه وحده بالعبادة، وكلُّ أمرٍ بالعبادة في القرآن فهو أمرٌ بالتَّوحيد، فمعنى قوله: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ أي: أفردوه وأخلصوا له العبادة ووحدوه ولا تجعلوا معه شريكاً في شيءٍ من حقوقه جلَّ وعلا، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا طريقٌ قويمٌ وسبيلٌ مباركةٌ تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أن يكون العبد على معرفةٍ برَبِّه وخالقه، وأن يكون صارفاً العبادة كلها له، لا يجعل معه شريكاً في شيءٍ منها.



وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ:
فَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى آيَاتِهِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].
وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال رحمه الله: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟) أنت قلت: رَبِّي الله هو الذي رباني بنعمته، وخلقني
وأوجدني من العدم، فإذا قيل لك: بِأَيِّ شَيْءٍ عَرَفْتَهُ؟ (قل: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ)؛ لأن آيات الله ومخلوقات
الله دالة عليه ﷻ فالصَّنعَةُ تدلُّ على الصَّانِعِ، والمخلوق يدلُّ على الخالق، والمبدع يدلُّ على المبدع،
والموجد يدلُّ على الموجد، فهذه آيات دالة على مُبدِعِها وخالقِها ومصوِّرِها، (فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ)
الكون مليءٌ بالآيات الدالة على الله جلَّ وعلا؛ بل الأمر كما قال القائل:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

الآيات الدالة على الله لا حصر لها، سماءٌ ذات أبراج، وبحارٌ ذات أمواج، وأرضٌ ذات فجاج، وجبالٌ
راسياتٌ، شمسٌ وقمرٌ، ليلٌ ونهارٌ، ضياءٌ وظلامٌ، حركةٌ وسكونٌ، قيامٌ وقعودٌ، هذه كلها وُجِدَتْ هكذا؟!
ليس لها موجد! ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [٣٥] أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ
[٣٦] [الطور]، فهذه آيات عظيمة دالة على كمال مُبدِعِها وعظمة خالقِها جلَّ وعلا.

وكلُّ مخلوقٍ من هذه المخلوقات مسخرٌ بتسخير الله ومديرٌ بتدبير الله تبارك وتعالى، وكلُّ منها لا
يتقدَّم ولا يتأخَّر عمَّا سُخِّرَ له، يمضي فيما سُخِّرَ له بحسبانٍ دون زيادةٍ ولا نقصانٍ، فالأمر أمر الله،
والخلق خلق الله، وكلُّ مسخرٌ بتسخير الله تبارك وتعالى، (فَقُلْ: عَرَفْتَهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ) إذا قيل لك: ما
الدَّلِيلُ على ذلك؟ قال: (فَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى آيَاتِهِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ﴾) هذه آيات من آيات الله دالة على الخالق العظيم والمُبدِعِ الجليل ﷻ، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [٦٢] [الفرقان]، فالليل والنهار آية من آيات الله جلَّ وعلا
﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي يغطي الليل النهار كما سيأتي في الآية الثانية، وكلُّ ماضٍ بحسبانٍ،
وماضي فيما سُخِّرَ له بدون زيادةٍ ولا نقصانٍ، الليل آية من آيات الله جعله سكوناً للعباد، والنهار آية من
آيات الله جعله ﷻ معاشاً للعباد، لو أصبحت حياة الناس كلها ليلاً، من يقدر أن يأتيهم بضياءٍ؟ لو
جعل الله ﷻ الليل سرمداً إلى يوم القيامة من يستطيع أن يأتي بضياءٍ؟

ولو جعل الله ﷻ الحياة كلها نهاراً بدون ليل من يستطيع أن يأتيهم بليل يسكنون فيه؟

فالليل والنهار آية من آيات الله الدالة عليه جلَّ وعلا.

قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أيضاً الشمس والقمر آيتان من آيات الله ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ

الْقَمَرُ وَلَا أَيْلُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس]، هذه آية من آيات الله جلَّ وعلا: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن]، يسيران بانتظامٍ في وقتٍ محدّدٍ، وطريقٍ محدّدٍ، ومسارٍ محدّدٍ، لا يتجاوزان ما سُخِّرَ لهما، فهذا أمرٌ بيد الله جلَّ وعلا.

وتأمل المناظرة التي دارت بين إبراهيم الخليل وبين الذي حاجَّ إبراهيم في ربه كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

فهذه الآيات آياتٌ عظيمةٌ وحُججٌ ظاهراتٌ ودلائلٌ بيناتٌ على عظمة الخالق وكمال المبدع جلَّ وعلا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لا تصرفوا العبادة للمخلوقات مهما عظمت ومهما كبرت، لا تصرفوا شيئاً من العبادة للمخلوقات.

العبادة حقٌّ لمن؟ لخالقها ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ ولا لأيِّ مخلوقٍ آخر عظيم، العبادة ليست للمخلوقات، العبادة حقٌّ لخالقها ومبدعها وموجدتها وهو الله تبارك وتعالى، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ إن كنتم تفردونه وتخصّصونه بالعبادة وتقومون بتوحيده وإخلاص الدين له جلَّ وعلا فأفردوه وحده بالعبادة.

قال: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ وهذا أصلٌ عظيم، وقاعدةٌ جليلةٌ في باب التوحيد ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ العبادة حقٌّ للخالق ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

قال: (وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ) الدليل على مخلوقاته التي عُرف بها الخالق قال: (عَرَفْتُهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ)، الدليل على مخلوقاته (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾) أي: لا شريك له في الربوبية والخلق والملك ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي تفرد جلَّ وعزَّ بخلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق] أي من تعبٍ أو نصبٍ، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ والعرش مخلوقٌ من مخلوقات الله تبارك وتعالى مخلوقٌ عظيمٌ هو أكبر المخلوقات وأعظمها وأوسعها، وهو سقف المخلوقات وأعلى المخلوقات، وهو مخلوقٌ لله أوجده الله ﷻ وليان وتوضيح عظمة هذا المخلوق وكبره واتساعه، جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام في حديث أبي ذرٍّ عندما سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الكرسي قال عليه الصلاة والسلام: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةِ أُلْقَيْتِ فِي فَلَاةٍ»، لو أخذت قطعة من الحديد صغيرة ورميته في الصحراء وأردت أن تعقد موازنة بين الحديد وبين الصحراء من حيث الحجم، كحلقة من حديد أُلقيت في صحراء، قال: «وَالْكُرْسِيُّ فِي

الْعَرْشِ مِثْلُ ذَلِكَ»، يعني شأن الكرسي بالنسبة للعرش كحديدة أقيت في صحراء، فالعرش مخلوق عظيم خلقه الله وأوجده من العدم وأخبر جلّ وعلا في آيات سبع في القرآن أنه استوى عليه جلّ وعلا، ومعنى استوى أي علا وارتفع، وإذا قيل لنا: كيف استوى؟ يقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، يجب علينا أن نؤمن أن ربنا جلّ وعلا استوى على العرش أي علا وارتفع عليه، ولا نقول: كيف؟ التكيف باطل وحرام ويجب علينا أن نؤمن بأن ربنا مستوٍ على العرش للآيات الواضحات والدلائل البيّنات والشواهد القاطعات في الكتاب والسنة على ذلك، والسؤال عنه بدعة، السؤال عن كيفية الاستواء أو عن كيفية الصفات بدعة محدثة لا أصل لها في دين الله جلّ وعلا.

ثم قال: ﴿يُعْثِي آلِيلَ النَّهَارِ﴾ أي: يغطي الليل النهار، بينما الناس في ضياءٍ إذ أقدم وجاء الليل فخيّم وغطى النهار، ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ﴾ أي سريعا، ولهذا الليل بأثر النهار والنهار بأثر الليل، كلّ منهما يتبع الآخر ويطلب الآخر ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ﴾ أي سريعا، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ هذه كلّها مخلوقات مسخرة مدبرة ليس لها من أمرها شيء، لا تسير إلا بتسخير الله جلّ وعلا وتديره، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الخلق خلق الله لا شريك له في ذلك، ﴿لَهُ الْخَلْقُ﴾ أي لا شريك له، وله الأمر لا شريك له، أي الأمر الكوني القدري، والأمر الشرعي الديني، فالأمر الكوني لله هو الذي يقضي كونًا وقدرًا بما يشاء، ويحكم بما يريد لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، وله الأمر الشرعي هو الذي يأمر جلّ وعلا وينهى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي تعالى وتعظم جلّ وعلا ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي خالقهم ومالكهم وسيدهم ومولاهم.



وَإِذَا قِيلَ لَكَ: لِأَيِّ شَيْءٍ خَلَقَكَ اللَّهُ؟ فَقُلْ: خَلَقَنِي لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.
وَدَلِيلُ الْعِبَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات].
وَدَلِيلُ الطَّاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، يَعْنِي كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ.

قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: لَأَيُّ شَيْءٍ خَلَقَكَ اللهُ؟) لم تكن شيئاً مذكوراً أو جلدك ربك جلّ وعلا من العدم وخلقك بعد أن لم تكن، لأي شيء؟ هل الإنسان خلق باطلاً؟! هل خلق عبثاً؟! هل أوجد وترك سدئ؟ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] لم يخلق الله جلّ وعلا هذه المخلوقات باطلاً أو عبثاً تنزهه وتقدس عن ذلك، ولم يُخلق الإنسان للعبث واللّهو والباطل، إنّما خلق لغاية، وأوجد لمقصدٍ جليل وهدفٍ نبيل، (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: لَأَيُّ شَيْءٍ خَلَقَكَ اللهُ؟) فقل: خلقتني (لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ). لأجل هذا خلقتني الله، لأجل هذا أوجدني في هذه الحياة، خلقتني لعبادته لأكون عبداً ذليلاً له، مُطيعاً منقاداً لأمره، لأجل هذا خلقتني.

فإذا قيل: لك ما الدليل على أنّك إنّما خلقت لأجل العبادة والطاعة؟

قال: (وَدَلِيلُ الْعِبَادَةِ) أي الدليل على أنني خلقت للعبادة (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾) (الدليل على أنني خلقت لعبادة الله هذه الآية العظيمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٨﴾ حدد فيها الغاية التي خلقت الإنسان لأجلها وهي عبادة الله، ما خلقت ليعبث، ليلهو، ما خلقت سدّي، لم يخلق باطلاً، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٨﴾ ومعنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلّا لأمرهم بعبادتي وتوحيدي وإخلاص الدين لي، هذا دليل العبادة.

قال: (وَدَلِيلُ الطَّاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَلَّذِينَ آمَنُوا وَاطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاطِيعُوا أَمْرَ الرَّسُولِ﴾) أمر الله جلَّ وعلا بطاعته وطاعة رسوله في آيات كثيرة في القرآن تزيد على الثلاثين فيها الأمر بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ليكون منقادًا متبعا ممتثلا ﴿وَاطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاطِيعُوا أَمْرَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأنَّ أولي الأمر ليس لهم طاعة مطلقة، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فطاعة أولي الأمر في حدود طاعة الله، فإذا أمر أحدُ منهم بمعصية الله لا يطاع، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولهذا قال: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ لأنَّهم ليس لهم طاعة مطلقة وإنَّما لهم طاعة في حدود ما أذن الله ﷻ به.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ ^{٥٩} ﴿إِنْ حَصَلَ بَيْنَكُمْ نَزَاعٌ أَوْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ؛ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْمَسَائِلِ، أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ إِلَىٰ مَنْ تَرْجِعُونَ وَإِلَىٰ مَنْ تَحْتَكُمُونَ؟﴾ ^{٥٩} ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ^{٦٠} ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ^{٥٩} ﴿قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ﴾: (يَعْنِي

كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ، معنى قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الرَّدُّ إلى الله هو الرَّدُّ إلى كتابه والرَّدُّ إلى الرَّسُولِ ﷺ هو الرَّدُّ إلى سُنَّتِهِ، ولا يصلح حال النَّاسِ ولا يستقيم أمرهم إلَّا إذا كانوا بهذه الصِّفَةِ إن تنازعوا أو اختلفوا فلا يصلح حالهم إلَّا إذا كان تعويلهم ورجوعهم ورُدُّهم إلى أمور نزاعهم إلى كتاب الله وسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.



وَإِذَا قِيلَ لَكَ: أَيُّ شَيْءٍ أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ وَنَهَاكَ عَنْهُ؟

فَقُلْ: أَمَرَنِي بِالتَّوْحِيدِ وَنَهَانِي عَنِ الشِّرْكِ.

وَدَلِيلُ الْأَمْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وَدَلِيلُ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

و[١١٦]، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

قلت قبل قليل: إنَّ الله جلَّ وعلا خلقني لعبادته واتباع أمره واجتناب نهيهِ، فإذا قيل لك: بأيُّ شيءٍ

أمركَ الله وعن أيُّ شيءٍ نهاكَ؟ قلت: إنَّ الله خلقني لأعبده، لأطيعه لأمثل أمره لأنتهى عن نهيهِ.

فإذا قيل لك: بأيُّ شيءٍ أمركَ الله؟ وعن أيُّ شيءٍ نهاكَ؟ قال: (فَقُلْ: أَمَرَنِي بِالتَّوْحِيدِ وَنَهَانِي عَنِ

الشِّرْكِ) أي إنَّ الله ﷻ أمرني بأوامر عديدة أعظمها التَّوْحِيدُ ونهاني عن أمورٍ عديدةٍ أعظمها وأخطرها

الشِّرْكَ بالله جلَّ وعلا.

فالتَّوْحِيدُ أعظم الأوامر وهو جماع الخير.

والشِّرْكَ هو أخطر الأمور وأضرُّها على الإنسان وهو أعظم شيءٍ نهى الله ﷻ عباده عنه.

قال: (فَقُلْ: أَمَرَنِي بِالتَّوْحِيدِ وَنَهَانِي عَنِ الشِّرْكِ).

وَدَلِيلُ الْأَمْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾) والعدل ضدُّ الظُّلم، وأعدل العدل وأجلُّه توحيد الله،

وأظلم الظُّلم الشِّرْكَ بالله كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فالعدل معناه أوسع من أن تعدل في تعاملك مع الإنسان؛ بل معنى العدل واسعٌ، ويجب أن يكون

العبد عدلاً مع الله لا يكون ظالماً، وأظلم الظُّلم هو الشِّرْكَ بالله ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] أي ظلمٌ أشنع وأفزع من أن يخلق الله العبد ويوجده من العدم ويمنَّ

عليه بأنواع النعم ثم يذهب العبد إلى مخلوقٍ يصرف له العبادة؟! هذا أظلم الظُّلم وأكبر الذَّنْبِ وأعظم

الجرم «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ» في الحديث الآخر قال: «أَنْ

تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ»، هو الَّذي خلقك، هو الَّذي أوجدك، هو الَّذي ربَّكَ بنعمته، فكيف يُجعل له

شريك؟! كيف يُجعل له ندٌّ؟ كيف يُجعل له الإنسان ندّاً وشريكاً؟! هذا أظلم الظُّلم وخروجٌ عن العدل

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أعظم العدل التَّوْحِيدُ، وأظلم الظُّلم الشِّرْكَ بالله ﷻ، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٩٠] هذه جملةٌ من الأوامر، وأيضاً من النَّواهي ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

قال: (ودليل النهي عن الشِّرْكِ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ﴾) هذه وردت في موضعين من سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: من مات على

الشُّركَ وغادر هذه الدُّنيا وهو مشرِّكٌ لا مطمع له البتَّة في مغفرة الله، ولا سبيل له مُطلقاً إلى نيل رحمة الله، أمرٌ انتهى وقُضي، إذا خرج من هذه الدُّنيا لفظ روحه لا مطمع له أبداً في رحمة الله ولا سبيل له أبداً لينال مغفرة الله، ما دام أنَّ الرُّوح خرجت وغادر هذه الدُّنيا وهو على الشُّرك أبداً ليس له سبيلٌ لينال رحمة الله ومغفرته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي إذا مات على ذلك.

يوم القيامة المشرك إذا أُدخل النَّارَ يتمنَّى عدَّة أمورٍ ذكرها الله في القرآن، يتمنَّى أن يرجع للدُّنيا مرَّةً ثانية يتمنَّى أن يُعاد للدُّنيا مرَّةً ثانية من أجل ماذا؟ ليعمل صالحاً غير الَّذي كان يعمل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر] في النَّار يقولون: يا ربَّ أخرجنا من النَّار وأعدنا إلى الدُّنيا مرَّةً ثانية لن نشرك؛ بل سنعمل الصَّالحات، سنوحِّد، سنخلص لك العبادة ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ هل يُستجاب له؟ لا.

أيضاً يتمنَّى ويرجو التخفيف؛ أن يُخَفَّفَ العذاب عليه قال: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾.

يتمنَّى أن يُقْضَىٰ عليه فيموت، قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا...﴾

فكلُّ هذه المطالب لا يحصل له منها شيءٌ، لا يُخَفَّفُ عنه العذاب، ولا يُعاد للدُّنيا، ولا يُقْضَىٰ عليه فيموت، ليس له يوم القيامة إلَّا النَّار خالداً فيها أبداً الآباد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦].

والآية الأخرى ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ

﴿٧٢﴾ [المائدة] الجنة مُحَرَّمَةٌ على المشرك لا يدخلها ولا سبيل له لدخولها ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ أي خالداً فيها أبداً الآباد ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

الظَّالِمِينَ هم المشركين بالله تبارك وتعالى.



(الأصل الثاني)

في معرفة دين الإسلام

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟ فَقُلْ: دِينِي الْإِسْلَامُ، وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ وَالْإِذْعَانُ وَالْإِنْقِيَادُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران].

هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسَةِ أَرْكَانٍ:

الْأَوَّلُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

الثَّانِي: وَإِقَامُ الصَّلَاةِ.

الثَّالِثُ: وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ.

الرَّابِعُ: وَصَوْمُ رَمَضَانَ.

الْخَامِسُ: وَحُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وَالسَّبِيلُ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ((الأصل الثاني) فِي مَعْرِفَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ) ومعرفة دين الإسلام بالأدلة والدليل قال الله قال رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟) ما الدين الذي تدين به، (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا دِينُكَ؟ فَقُلْ: دِينِي الْإِسْلَامُ) قال: (وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ وَالْإِذْعَانُ وَالْإِنْقِيَادُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ) هذا هو الإسلام، والإسلام معناه يتضمّن أمرين:

- يتضمّن معنى الاستسلام الذي هو الانقياد والطاعة.
- ويتضمّن معنى السلامة وهو البعد عن الشرك والحذر من الوقوع فيه، والاجتهاد أن تكون أعمال العبد خالصة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال: (وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ وَالْإِذْعَانُ وَالْإِنْقِيَادُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ). هذا هو معنى المسلم، المسلم هو المخلص عباده لله المستسلم لأمر الله، إذا قال له الله: افعل كذا أو لا تفعل كذا، ماذا يقول؟ يقول: سمعنا وأطعنا، هذا هو المسلم، مستسلم ومنقاد وممثل لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأمر رسوله ﷺ.

قال: (وَالدَّلِيلُ) على ذلك (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]) أي لا يرضى جُلَّ وعلا ولا يقبل ديناً سواه، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران] فالدين الذي رضى الله ﷻ لعباده ولا يقبل منهم ديناً سواه هو الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك والبراءة منه ومن أهله.

قال: (هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسَةِ أَرْكَانٍ:

الْأَوَّلُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

الثاني: وإِقَامُ الصَّلَاةِ.

الثالث: وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ.

الرابع: وَصَوْمُ رَمَضَانَ.

الخامس: وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وَالسَّبِيلُ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ. فهذه أركان الإسلام الخمسة كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ» قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» ومعنى هذا أن هذه الخمس للإسلام بمثابة العمد للبناء.

وَالْبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا بِأَعْمَدَةٍ وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْ تَادُ

فالإسلام يقوم على مباني، يقوم على أعمدة هي هذه الخمسة المذكورة في هذا الحديث والمذكورة كذلك في حديث جبريل لما قال للنبي عليه الصلاة والسلام: أخبرني عن الإسلام قال: «الْإِسْلَامُ أَنْ تُشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، وسيأتي عند المصنف رحمه الله تعالى ذكر الدليل لكل واحد من هذه المباني الخمسة.

فَأَمَّا دَلِيلُ الشَّهَادَةِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران].

هذا (دليل الشهادة) شهادة أن لا إله إلا الله، والشهادة إذا أُطلقت فالمراد بها شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنها أعظم شهادة على الإطلاق، أعظم شيء تشهد به في هذه الحياة الدنيا (لا إله إلا الله) ليس هناك شهادة أعظم من هذه الشهادة، فهذه أعظم شهادة لأعظم مشهود به؛ وهو توحيد الله وإخلاص الدين له. وانظر عظمة هذه الشهادة ومكانتها، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران]. فهذه الشهادة ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ من أعظم شواهد وهو رب العالمين، لأعظم مشهود به وهو توحيد الله ﷻ، فشهد الله ﷻ لنفسه بذلك ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أيضًا شهدوا، والملائكة المُرَاد بهم كل الملائكة وهم خلق لا يعلم عددهم إلا الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُطِّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ» وذكر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث (البيت المعمور) وذكر أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ومن دخله لا يرجع إليه مرّة ثانية، عدد لا يعلمه إلا الله وكلهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وكلهم أهل طاعة لا معصية عندهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ أي: أهل البصيرة بدينه وشرعه، أهل العلم به ﷻ وبدينه، ذكر الله ﷻ شهادة العلماء بتوحيده مضمومة إلى شهادته وشهادة الملائكة، وهذا شرف للعلماء أيما شرف وفضيلة عليّة ورُتبة رفيعة، ولو لم يكن في فضل العلم وشرف العلماء إلا هذه الآية لكفى بها دليلاً على فضلهم، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه «مفتاح دار السعادة» هو كتاب كبير جداً وواسع مبني على هذه الآية، كله حول هذه الآية الكريمة، وبين رَحِمَهُ اللَّهُ دلالة هذه الآية على فضيلة العلماء من وجوه كثيرة وتحدث عن مكانة العلماء وفضل العلماء من مائة وخمسين وجهاً في كتابه ر «مفتاح دار السعادة». فالشاهد أن هذه الآية دليل على شهادة أن لا إله إلا الله وأن هذه الشهادة العظيمة شهد بها رب العالمين، وشهد بها الملائكة الكرام، وشهد بها أولو العلم، فهي أعظم شهادة لأعظم مشهود به وهو توحيد الله جلّ وعلا.

وَدَلِيلٌ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

(وَدَلِيلٌ) شهادة (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) هو (قَوْلُ) الله (تَعَالَى): ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (أَي: لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ، وَالشَّاهِدُ مِنَ الْآيَةِ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾) فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَبَعَثَهُ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا؛ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، وَمَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تُعْنِي طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَالْإِنْتِهَاءَ عَنْ نَهْيِهِ وَتَصَدِيقَ أَخْبَارِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ هِيَ قَرِينَةُ الشَّهَادَةِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلِهَذَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُقْبَلُ إِلَّا مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، الشَّهَادَتَانِ قَرِينَتَانِ، بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَهِيَ قَرِينَةُ لِلشَّهَادَةِ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: التَّوْحِيدُ نَوْعَانِ:

- تَوْحِيدٌ لِلْمُرْسَلِ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ.
- وَتَوْحِيدٌ لِلْمُرْسَلِ وَهُوَ النَّبِيُّ بِالِاتِّبَاعِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِمْتِثَالِ.



وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (١٠٣) [النساء].

(وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ) أي أنها فرض واجب على كل مسلم ومسلمة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (١٠٣)، ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا يدل على الوجوب أي أنها واجبة على المؤمنين ولازمة ومتعيّنة، يجب على كل مسلم ومسلمة أن يكون من أهل الصَّلَاة محافظًا عليها في أوقاتها.

﴿كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي لها أوقات محدّدة وهي خمس صلوات في اليوم والليلة: الفجر ركعتان، والظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، ولكل صلاة من هذه الصَّلوات وقتها المحدّد.

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظ على هذه الصَّلوات في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها متقربًا بها إلى الله ﷻ طالبًا بها رضاه كما جاء في الحديث «وَهِيَ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ، مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».



وَدَلِيلُ الزَّكَاةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قال: (وَدَلِيلُ الزَّكَاةِ) أي دليل الزكاة المفروضة زكاة المال قول الله جلّ وعلا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي زكاة لأموالهم فائدتها وثمرتها ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ وهذا فيه أن الزكاة طهارة للمزكي وبركة لماله ونماء له وخير وبركة عليه ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، والزكاة سميت زكاة لأنها تزكي صاحب المال وتزكي المال ويبارك لصاحب المال في ماله.

بخلاف الربا والعياذ بالله فإنه يحق للمال، الربا يتوهم المرابي أنه ينمي ماله وهو محق للمال والبركة.

والزكاة يظن بعض الناس أنها تنقص المال وهي زكاة ونماء للمال، فالله سبحانه يحق الربا ويربي الصدقات.

فالزكاة والصدقة بركة على المال في الدنيا والآخرة يتصدق الإنسان بصدقة ولو شيء قليل يكون بركة لماله ويكون ذخراً له يوم يلقي الله سبحانه.

«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَلَ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ أَخَذَهَا اللَّهُ ﷻ بِيَمِينِهِ وَرَبَّاهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ أَوْ فَصِيلُهُ، ثُمَّ يَجِدُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ» تمرّة يجدها مثل الجبل، فالصدقة بركة على الإنسان في ماله في صحته، وأيضاً هي أجر وثواب له يوم يلقي الله.

والزكاة جزء يسير من المال تؤخذ من شيء كثير من المال ممّا أعطاك الله ﷻ تؤخذ من الأغنياء وتُرَدُّ للفقراء، الزكاة ليست مطلوبة من كلّ مسلم، الزكاة مطلوبة من المسلم الذي بلغ ماله النصاب يؤخذ جزء يسير من ماله ويرد للفقير تسد حاجة الفقراء، يسد عوزهم، يكون صاحب المال وقف مع الفقراء بدعهم ومساندتهم، وفي الوقت نفسه يكون هذا المال زكاة له، فالزكاة صدقة تؤخذ من الأغنياء وتُرَدُّ على الفقراء وهي مفروضة، ومن لم يزك ماله عذبه الله بماله يوم القيامة، نفس المال يعذب به.

إن كان المال بقرّاً أو كان المال غنماً وماشية أو كان المال إبلاً يُؤتى بها يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم تطوّه بأظلافها وأقدامها رائحةً وغاديةً ذاهبةً وراجعةً تطوّه بأقدامها.

وإن كان المال ذهباً أو فضةً فإنه يُؤتى بهذا المال ويحمى به في نار جهنم ويكوى به جنبه وجبينه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة كما ثبت الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في الصحيحين وغيرهما، فإن لم يزك ماله عذب بماله يوم القيامة، وإذا زكى ماله كان هذا زكاة له وطهارة وبركة في دنياه وآخره.



وَدَلِيلُ الصَّوْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(دليل الصيام) أي أنه فرض واجب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي أوجب الله الصيام عليكم وافترضه عليكم ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أيضاً الأمم التي قبلكم فرض عليها الصيام وكتب عليها الصيام وكانت مأمورة به ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣) أي: لتنالوا بالصيام تقوى الله، فهو من أعظم الأمور المعينة على تحقيق التقوى، وهو جنة للصائم من الله والرّفث ومن سخط الله ومن النار «الصيام جنة» كما قال ذلك نبينا صلوات الله وسلامه عليه.



وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصَّيَامُ شَهْرٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] الآية.

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصَّيَامُ شَهْرٌ؟) يعني مدّة الصَّيَام الَّذِي افترضه الله جلّ وعلا شهرٌ واحدٌ أو أكثر أو أقلُّ؟ إذا سُئِلَ قِيلَ لَكَ الصَّيَام الَّذِي افترضه الله على عباده ما مدّته شهرٌ واحدٌ أو أزيد أو أقلُّ؟ قل: نعم شهرٌ واحدٌ في كلّ سنةٍ يلزم المسلم أن يصوم هذا الشهر، وهو شهر رمضان.

ما الدليل على ذلك؟ قل: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]) أمر الله جلّ وعلا من شهد الشهر أي أدركه أن يصومه فهو شهرٌ واحدٌ افترض الله على عباده صيامه.

والمراد بصيام هذا الشهر الإمساك في نهار رمضان بدءاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في كلّ أيام رمضان عن الطَّعام والشراب وسائر المفطرات.



وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصَّيَامُ فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ؟ فَقُلْ: فِي النَّهَارِ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصَّيَامُ) صيام رمضان ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] (فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ؟) ماذا تقول؟ لأن هذه الرسالة كُتبت لتتشر بين الناس وفي البوادي وفي القرى فقد يوجد في بعض المناطق جهل بهذا الأمر وعدم معرفة به، (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: الصَّيَامُ فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ؟) متى وقت الصَّيَام (فَقُلْ: فِي النَّهَارِ) الصَّيَامُ فِي النَّهَارِ وليس في الليل، ما الدليل على ذلك؟ (وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾) متى هذا الأكل والشرب؟ هذا في شهر رمضان يعني ما فيه صيام في هذا الوقت، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الكلام على رمضان الذي أمرنا بصيامه، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ متى؟ أي في الليل ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ ، يعني في الليل كلوا واشربوا ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ في الليل ليس على الإنسان حرج ولا إشكال في الطعام والشراب والجماع - جماع الأهل - هذا كله لا حرج فيه، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ إذا طلع الفجر يجب الإمساك إلى الليل ﴿ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ فهذا وقت الصَّيَام في شهر رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.



وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران].

(وَدَلِيلُ الْحَجِّ) أي: الدليل على أن الحج ركنٌ من أركان الإسلام وأنه فريضةً افترضه الله ﷻ على العباد قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، ﴿وَلِلَّهِ﴾ هذا دليلٌ على الوجوب أن الله ﷻ أوجب على عباده حجَّ بيته الحرام، والحج فريضةً على المستطيع، والاستطاعة كما سبق عند المصنّف الزّاد والراحلة وكذلك وجود المحرم بالنسبة للمرأة؛ لأنّه لا يجوز للمرأة أن تسافر مع غير ذي محرم، والمرأة التي لا محرم لها ليس الحج واجباً عليها؛ لأنّه لا يحلُّ لها أن تسافر إلّا مع ذي محرم، والله يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ والمرأة التي لا محرم لها غير مستطاعةٍ لأنّه يحرم عليها أن تسافر مع غير ذي محرم ولو كانت كبيرة ولو كانت برفقة النساء، لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مع غير ذي محرم، حرامٌ عليها ما دامت تؤمن بالله جلّ وعلا واليوم الآخر. فالحج فريضةً واجبةً متعيّنةً على كلّ مسلم ومسلمةٍ في العمر كلّ مرّةً واحدةً، الحج مرّةً وما زاد فهو تطوّعٌ. أمّا الحجّ الذي هو فرضٌ واجبٌ متعيّنٌ على كلّ مسلم ومسلمةٍ مرّةً واحدةً في العمر، وهو قصد مكّة المكرّمة بيت الله الحرام لأعمالٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ.



وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟

فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾﴾ [البقرة]،
وَدَّلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر].

ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْإِيمَانَ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَتَكَوَّنُ مِنْ مَرَاتِبٍ ثَلَاثٍ وَهِيَ:

الْإِسْلَامُ وَسَبَقَ بَيَانُ أَرْكَانِهِ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ.

وَالْإِيمَانُ وَأَرْكَانُهُ سَتَّةٌ يَأْتِي بَيَانُهَا هُنَا.

وَالْإِحْسَانُ وَهُوَ الرُّكْنُ الثَّلَاثُ وَلَهُ رَكْنٌ وَاحِدٌ يَأْتِي بَيَانُهُ عِنْدَ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٨٥﴾﴾ [البقرة]،

وَدَّلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]. لَعَلَّنَا نَوْجِلُ الْكَلَامَ عَلَى أَصُولِ الْإِيمَانِ وَبَقِيَّةَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُبَارَكَةِ سَائِلِينَ اللَّهَ ﷻ لَنَا أَجْمَعِينَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالْعَوْنَ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ يَصْلَحَ

لَنَا شَأْنُنَا كُلُّهُ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنْ يَهْدِينَا إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَأَنْصَحَ

جَمِيعَ الْإِخْوَةِ الْكَرَامِ أَنْ يَعْتَنُوا بِهِ هَذِهِ الْوَرَقَةَ وَأَنْ يَحْرَصُوا عَلَى نَشْرِهَا وَأَنْ يُصَوِّرَ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ وَفِي

الْمَنَاطِقِ وَأَنْ تُوزَعَ وَأَنْ تُنَشَرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] وَأَعْظَمُ الْبِرِّ أَنْ تَدُلَّ

إِخْوَانَكَ الْمُسْلِمِينَ وَأَخَوَاتَكَ الْمُؤْمِنَاتِ وَقَرَابَتَكَ وَجِيرَانَكَ إِلَى هَذِهِ الْأَصُولِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُسْأَلُ عَنْهَا إِذَا أُدْخِلَ الْقَبْرَ.

نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَثْبِتَنَا أَجْمَعِينَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ وَأَنْ يَصْلَحَ لَنَا شَأْنُنَا كُلُّهُ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِمَشَايِخِنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.



[الأسئلة]

سؤال (١): ما الفرق بين آياته ومخلوقاته؟

الجواب: آيات الله جلّ وعلا هي دلائل وبراهين وهي من جملة المخلوقات، قد مر معنا قول القائل: **وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ** **تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ** لكن معنى الآيات باعتبار آخر أوسع لأن آيات الله جلّ وعلا يتناول الآيات المشهودة المخلوقة التي هي الليل والنهار والشمس والقمر ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصل: ٣٧] فهذه آيات مخلوقة لله تبارك وتعالى ويشمل أيضاً آياته المتلوّة التي هي كلامه وكلام الله غير مخلوق، وهو من آيات الله الدالة على الله ﷻ.

سؤال (٢): إذا أشرك المسلم بشيء هل يستطيع أن يتوب قبل موته؟

الجواب: الله جلّ وعلا قال في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ هل يدخل فيه الشرك أو لا يدخل؟ ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وكيف نوفق بين هذه الآية وبين قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي إذا مات على ذلك وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي ممن تاب من ذلك، ما الدليل؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي في حق من تاب؛ لأن الله قال قبلها: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، ومعنى ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ أي توبوا إلى الله، مهما عظم ذنبك لا تقنط، مهما كبر لا تقنط؛ لأن الله ﷻ لا يتعاضمه ذنب أن يغفره، مهما عظم الذنب، ومهما كبر الجرم لا تقنط تب إلى الله يتب عليه، الشرك الإلحاد أي ذنب، من تاب تاب الله عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي بما فيها الشرك في حق من تاب من ذلك، فالتوبة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام تهدم ما كان قبلها، من تاب تاب الله عليه، والتوبة لها شروط معلومة لا بد من تحقيقها، ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٦٦] لا تكون التوبة نصوحاً إلا بشروط ثلاثة:

أن يقلع عن الذنب فوراً.

وأن يعزم أن لا يعود إليه.

وأن يندم على فعله.

هذه شروط لا بد أن تكون في الإنسان لتكون توبته مقبولة، يندم على الذنب الذي فعله، ويقلع عنه، ويعزم يعقد النية أن لا يعود إلى هذا الذنب مرة ثانية.

وإذا كان الذنب يتعلق بحقوق الأدميين: أموال أو نحو ذلك لا بد من إعادة الحق لأهله.

سؤال (٣): هل يجوز إخراج الزكاة لشخص أو إعطاء الزكاة لشخص دون أن يخبره بأنها زكاة، ربّما

لم يأخذها؟

الجواب: المهم أن يكون مستحقاً، فتأكد أنه من أهل الزكاة، فإذا تأكدت من ذلك لا ضرورة أن تقول:

هَذَا مِنْ مَالِ الزَّكَاةِ؛ لَكِنْ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ عَلَى عِلْمٍ وَمَتَأَكِّدًا مِنْ أَهْلِ الزَّكَاةِ.

سؤال (٠٤): **كثيرٌ من الناس عندما يقول له: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ يقول لك: أين كان قبل أن يخلق**

العرش؟

الجواب: قل له قال النبي ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»، فالله جلّ وعلا كان ولم يكن شيءٌ قبله وخلق جلّ وعلا العرش واستوى عليه استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته، وأعظم المحرّمات وأشدّها على الإطلاق أن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] فالقول على الله جلّ علا بلا علم هذا أكبر المحرّمات وأعظمها، ولهذا بالقول على الله بلا علم وُجد الشُّرك وُجد الكفر وُجد الإلحاد وُجدت الزندقة وُجد كلُّ بلاءٍ وشرٍّ، فيجب على الإنسان أن يحذر من أن يقول على الله أو في دين الله بلا علم.

والعلم هو قال الله قال رسوله لا أن يخوض الإنسان بفكره المجرّد أو عقله القاصر، ويبدأ يخوض في الله أو في أسمائه وصفاته بعقله وفكره، هذا ضلالٌ إياك أن تقول في الله أو في دينه إلّا بالدليل قال الله قال رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أين كان الله قبل العرش؟ الجواب قال ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» تأتي بالأحاديث وبكلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفي ذلك العصمة والأمانة من الخطأ والزلل والسلامة من القول على الله بلا علم ومن القفوّ لما ليس لك به علم، والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾.

نسأل الله لنا أجمعين التوفيق والسداد، والله أعلم وصلى الله وسلّم على رسول الله.



بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني

قال الإمام المُجَدِّد مُحَمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في «الأصول الثلاثة»:

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كُلِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥) ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (الْقَمَر: ٤٩).

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ..

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟)** الإيمان كما تقدَّم معنا هو المرتبة الثانية من مراتب الدين التي مرَّ أنها أتت مجتمعة في حديث جبريل المشهور، ولمَّا سأل جبريل النَّبِيَّ ﷺ عن الإيمان قال: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»** فالإيمان له شعب كثيرة وأجزاء عديدة، كما قال نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ»** الإيمان له شعب كثيرة جدًا؛ لكنَّ هذه الشعب لا بدَّ أن تقوم على أصول وأركانٍ عليها قيام الإيمان.

وقد دلَّت النُّصوص أن الإيمان يقوم على أركانٍ ستَّةٍ تُسمَّى أركان الإيمان وتُسمَّى أصول الإيمان، لا قيام للإيمان إلا عليها، وهي أصول مترابطة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض، الإيمان ببعضها يستلزم الإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفرٌ بباقيها، فهي أصول مترابطة لا بدَّ منها جميعًا ليكون قيام الإيمان قيامًا صحيحًا وليكون بناؤه بناءً صحيحًا.

وهذه الأصول جاءت مجتمعة في مواضع من القرآن كقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقول الله تَعَالَى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقول الله تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وجاء ذكر هذه الأصول مجتمعة في حديث جبريل قال: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**، والإيمان لا قيام له إلا على هذه الأصول، ومن كفر بشيء من

هذه الأصول فإن أعماله كلها تكون حابطةً وباطلةً كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] ولهذا قال أهل العلم عن هذه الأصول أنها تُصَحِّحُ الإِيمَانَ بِمَعْنَى أَنَّ الإِيمَانَ لَا يَصِحُّ إِلَّا إِذَا قَامَ عَلَى هَذِهِ الْأَصُولِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل: ٩٧] فالأعمال والطاعات والعبادات لا تنفع إِلَّا إِذَا كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى هَذِهِ الْأَصُولِ مَرْتَكِزَةً عَلَى هَذِهِ الدَّعَائِمِ.

قال: **(فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ)** يعني إذا قيل لك: ما الإيمان؟ **(فَقُلْ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ)** وهذا هو الأصل الأول من أصول الإيمان وهو أعظم أصول الإيمان وأجلُّها على الإطلاق وهو أصل أصول الإيمان، وبقية أصول الإيمان تبع لهذا الأصل وراجعةٌ إليه، فهو أعظم الأصول وأجلُّها.

والإيمان بالله هو الإيمان بوحداية الله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته وفي ألوهيته، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: الإيمان بالله أركانه ثلاثة:

الركن الأول: الإيمان بوحداية الله في ربوبيته؛ بأن تعتقد بأنه وحده تبارك وتعالى المالك الخالق الرزاق المُنعم المتصرِّف لا شريك له.

والركن الثاني: الإيمان بوحدايته في أسمائه وصفاته، وهو أن تثبت له جلَّ وعلا الأسماء الحسنى والصفات العلى الثابتة في كتابه جلَّ وعلا وفي سنة رسوله ﷺ دون أن تجحد شيئاً منها ودون أن تحرِّف شيئاً منها، ودون أن تمثل شيئاً منها بصفات المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

والركن الثالث: الإيمان بوحداية الله في ألوهيته، وذلك بالإيمان بأنه المعبود بحق، ولا معبود بحق سواه، وأن تُفردَ وحده جلَّ وعلا بأنواع العبادة ولا تجعل معه شريكاً فيها ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [البقرة: ١٨]، هذا الركن الأول.

الركن الثاني من أركان الإيمان، الإيمان بالملائكة، والملائكة خلقٌ من خلق الله وجنُّ من جنوده، خلقهم الله ﷻ من نور، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد جاء في القرآن والسنة ذكر أوصافٍ للملائكة، وذكر أعدادٍ للملائكة، وذكر أسماءٍ للملائكة، فنؤمن بكلِّ ما جاء في القرآن والسنة عن الملائكة، من أسماءٍ أو أعدادٍ أو أوصافٍ أو وظائفٍ إجمالاً فيما أُجْمِلَ وتفصيلاً فيما فُصِّلَ، فالإيمان بهم ركنٌ من أركان الإيمان وأصلٌ من أصول الدين، وهم خلقٌ لا يعلم عددهم إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ ﷻ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وهم خلقٌ لا يعصي الله، ليس عند الملائكة شيءٌ اسمه معصية، كُلُّ أَعْمَالِهِمْ طَاعَةٌ، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] قائمون بأوامره جلَّ وعلا أتمَّ قيامٍ لا يعصون الله ﷻ في شيءٍ ممَّا يأمرهم به، وهم يؤمنون بالله،

ويسبِّحون الله ويقدِّسونه، ويطيعونه ﷺ، ويمثلون أوامره، وكلُّ منهم مُوكَّلٌ بعمل ومهمَّةٌ، وكلُّ قائم بعمله كما أمره الله به، فكلُّ ما جاء في القرآن والسُّنة عن الملائكة نوَّمن به فإنَّ الإيمان بهم ركنٌ من أركان الإيمان وأصلٌ من أصول الدين.

الركن الثالث من أركان الإيمان، الإيمان بالكتب المنزَّلة من الله جلَّ وعلا على رسله الكرام، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥] أي: بأيِّ كتاب أنزله على أيِّ رسولٍ، والله ﷻ أنزل كتبه على صفوة خلقه وخيارهم وهم رسله الكرام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالله ﷻ أنزل الكتب على الرُّسل وجعل في الكتب هدايةَ الخلق وبيانًا للحق والدَّعوة إلى الله، وذكر تفاصيل أمره ونهيه، وصفة عبادته، وبلغ الرُّسل كلُّهم ما أوحى إليهم أتمَّ بلاغٍ، ودعوا أممهم إلى ما أمرهم الله ﷻ أن يدعواهم إليه، بلَّغوا وحي الله وتنزيله على التَّمام والكمال.

ونؤمن بأنَّ الكتب فيها هداية النَّاس، وأنَّ من آمن بها هُدي إلى صراطٍ مستقيمٍ، ومن حاد عنها وزاغ عن سبيلها فهو من الخاسرين.

ونؤمن بأنَّ الكتب خُتِمت بالقرآن، فيه خُتِمت الكتب المنزَّلة، وهو كتابٌ مصدَّق لما بين يديه، ومهيمنٌ على الكتب السابقة، وناسخٌ للكتب التي قبله. والواجب الإيمان بهذا القرآن والتَّصديق بأخباره، وفعل ما فيه من الأوامر وترك ما فيه من النَّواهي، وتلاوته حقَّ تلاوته ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

والركن الرابع من أركان الإيمان هو الإيمان بالرُّسل والرُّسل هم صفوة العباد وخير النَّاس اصطفاهم الله جلَّ وعلا واجتباهم وجعلهم رُسلًا مُبشِّرين ومُنذرين وداعين إلى الله وإلى توحيده وإلى صراطه المستقيم، فبلَّغوا البلاغ المبين ونصحوا أممهم وما تركوا خيرًا إلَّا دلُّوا أممهم عليه، ولا شرًّا إلَّا حذَّروهم منه، وهم متفاضلون ليسوا في الفضل على رتبةٍ واحدةٍ ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] وأفضل الأنبياء الرُّسل.

وأفضل الرُّسل أولي العزم منهم وهم خمسةٌ إبراهيم ونوحٌ وموسى وعيسى ومحمَّد صلَّى الله عليهم وسلَّم أجمعين.

وأفضل أولي العزم محمَّد ﷺ وهو أفضل العالمين وسيِّد ولد آدم أجمعين صلوات الله وسلامه عليه، وهو خاتم النبيِّين فلا نبيَّ بعده ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ختم الله ﷻ به النَّبِوات.

ونؤمن بأنَّه عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بلغ البلاغ المبين وجاهد في الله حقَّ جهاده حتَّى آتاه اليقين، وأتمَّ الله ﷻ به الدِّين وأكمل به النِّعمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكلِّ ما

يكون بعد الموت، ومن مات قامت قيامته وبدأت في حقه مراحل اليوم الآخر، فكل ما يكون بعد الموت بدءاً من فتنه القبر وعذابه ونعيمه وما يلي ذلك من أمورٍ وأحوالٍ وأهوالٍ، الإيمان بذلك كله من الإيمان باليوم الآخر، مثل الإيمان بالبعث والنشور والحشر والصراط والميزان والجنة والنار وغير ذلك من التفاصيل الكثيرة عن ذلك اليوم الواردة في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسَنَّة نَبِيِّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فالإيمان بذلك كله من الإيمان باليوم الآخر وهو أصل من أصول الإيمان وركن من أركان الدين.

والرُّكنُ السَّادس من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر، والقدر: قدرة الله جلَّ وعلا، بأن نؤمن أن الله ﷻ أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، وأنه كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، وأن الأمور كلها بمشيئته، وأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الخالق لكل شيء، هذه حقيقة الإيمان بالقدر، وهو يقوم على أربع مراتب لا يكون مؤمنًا بالقدر من لا يؤمن بها:

الأولى: الإيمان بعلم الله ﷻ الشَّامِلِ الواسِعِ المحيط ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وأنه جلَّ وعلا عَلِمَ ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

والثَّانية: الإيمان بأن الله ﷻ كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وصحَّ في الحديث عن نبيِّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

والمرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ الملك ملك الله، ولا يقع فيه شيءٌ إلَّا بمشيئته وأنه ﷻ يفعل ما يشاء ويقضي ما يريد لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

والمرتبة الرَّابعة من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بأنَّه ﷻ خالق كل شيء، خالق الذَّوات، وخالق الأفعال والحركات والسكنات، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فالله ﷻ هو خالق الخلق لا خالق إلَّا هو ولا ربَّ سواه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [٢٥] أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[٣٦]﴾ [الطور: ٣٦]، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [فاطر: ٣]، فالله جلَّ وعلا هو الخالق هو الرَّازِق هو المنعم هو المتصرِّف.

فهذه مراتب أربعةٌ للإيمان بالقدر: العلم والكتابة والمشيئة والإيجاد، ولا يكون مؤمنًا بالقدر من لم يؤمن بهذه المراتب، والإيمان بالقدر نظام التَّوحيد كما قال ذلك ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (الإيمان بالقدر نظام التَّوحيد، فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبه توحيدَه)، أي أنَّ المكذَّب بالقدر كافرٌ بالله جلَّ وعلا لا يقبل الله منه عملاً ولا يقبل الله منه طاعةً، لو أنفق مثل جبلٍ أحدٍ ذهبًا ما تقبَّل الله منه إلَّا إذا كان يؤمن بالقدر.

ثم إذا آمن العبد بأن الأمور كلها بقدر الله، فإن عليه أن يجاهد نفسه مجاهدةً تامةً على فعل طاعة الله، فعل الطاعات واجتناب النواهي، وأن يطلب مدّه وعونه وتوفيقه وتثبيتته وتسديده من الله؛ لأن الأمر بيد الله ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «أَحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» ولَمَّا قَالَ الصَّحَابَةُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنْعَمِلْ فِي أَمْرٍ قُدِّرَ وَقُضِيَ أَوْ فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ؟» قَالَ: «بَلْ فِي أَمْرٍ قُدِّرَ وَقُضِيَ»، قالوا: ففيم العمل يا رسول الله؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ يَسِّرُهُ اللَّهُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ يَسِّرُهُ اللَّهُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، وتلا قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل]، وهذا يفيد أن الواجب على المسلم أن يجتهد وأن يبذل وسعه في فعل الصالحات واجتناب المحرمات، ويطلب من الله العون والتوفيق والسداد: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

لَمَّا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأَرْكَانَ السَّتَّةَ لِلإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ذَكَرَ دَلِيلَهَا مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ فيه الإيمان باليوم الآخر.

وهذه الآية مع الآية التي تليها قد حُتِمت بهما سورة البقرة، يُستحبُّ للمسلم أن يقرأهما كل ليلة كما صحَّ بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَفَّتْهُ»، أي تكفيانه من كل سوء وشرٍّ، وفي قراءة المسلم لهاتين الآيتين كل ليلة من الفائدة استحضر أصول الإيمان، فالمسلم في قراءته لهاتين الآيتين كل ليلة يستحضر ويستذكر أصول الإيمان ويجدد إيمانه، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقَ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثُّوبُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ».

يحتاج العبد بين وقت وآخر أن يُجدد الإيمان في قلبه حتَّى يقوى الإيمان؛ لأنَّ الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف ولزيادته أسباب ولنقصانه أسبابٌ.

قَالَ: (وَدَّلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]) فهذا دليل على أنَّ الأمور كلها بقدر الله، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ» رواه مسلمٌ، وجاء في الأثر عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى وَضَعُكَ كَفَمَكَ عَلَى ذَقْنِكَ هَكَذَا بِقَدَرٍ»، فالأمر كلها بقدر الله ﷻ والخلق خلق الله والملك ملكه سبحانه، ولا يمكن أن يقع في ملك الله جلَّ وعلا إلا ما قدره وكتبه وقضاه ﷻ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْإِحْسَانُ؟

فَقُلْ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨).

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ فَقُلْ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) الإحسان أعلى مراتب الدِّين وأرفع درجاته وأعلى منازلَه، والإحسان هو الإتقان والإجادة، والمُحْسِن من عباد الله هو الَّذي جاهد نفسه في طاعة الله وحسن إقباله على الله وجدَّ واجتهد في نيل رضاه سبحانه وابتعد عن كلِّ ما يُسَخِّطُ الله جلَّ وعلا وترقَّى في منازل العبادة ورُتِبَ الدِّين إلى أن بلغ المبلغ العليَّ والدرجة الرفيعة، وأصبح شأنه في قربه من الله وتقربه إلى الله وحسن عبادته الله أن يعبد الله كأنه يراه، يقوم بعبادته الله ويؤدِّي الطَّاعة كأنه يراه الله جلَّ وعلا، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وهذه درجةٌ عليَّةٌ ومنزلةٌ شريفةٌ ومنزلةٌ منيفةٌ رفيعةٌ، لا يصل إليها إلا من أكرمه الله ووفقه وجعله من أهل هذه الرُّتبة العليَّة، وهي تُنال بالمجاهدة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، بالمجاهدة وطلب العون من الله ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (هود: ٨٨).

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الدَّلِيلَ على هذه المرتبة قال: (وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨)، ﴿اتَّقُوا﴾ أي: المحرَّمات باجتنابها والبعد عنها وعدم مقارفتها والتَّوْبَةُ إلى الله ﷻ عند الوقوع في شيءٍ منها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي في طاعتهم لله وتقربهم إليه ﷻ ومجاهدتهم لأنفسهم لبلوغ الرُّتب العليَّة في الدِّين والإيمان، والمعِيَّة هنا ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨) معِيَّةٌ خاصَّةٌ تقتضي الحفظ والنَّصر والعون والتَّأييد والكفاية.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُنْكَرُ الْبَعْثِ كَافِرٌ؟

فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ

﴿٧﴾ [التَّغَابُنِ].

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُنْكَرُ الْبَعْثِ كَافِرٌ؟) أي الذي يُنكر أن الناس يُبعثون ويقومون لرب العالمين وأنه

يحاسب العباد ويجازيهم، إذا قيل لك: هل من ينكر ذلك كافر؟ (فَقُلْ: نَعَمْ) نعم هو كافر، وإذا مات على ذلك يكون في النار ويخلده الله ﷻ فيها أبد الآباد.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنْ مُنْكَرَ الْبَعْثِ كَافِرٌ؟ قُلْ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ [التَّغَابُنِ]، فالخلق يُبعثون ويقومون لرب العالمين.

والله ﷻ يجمع الأولين والآخرين على صعيد واحد كلهم يُجمع من مات ودُفن، من أكلته السباع، من

احترق وذرت جسمه الرياح، الكل يُجمع، يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين ويجازيهم ويحاسبهم،

يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزَّلْزَلَةُ]، فالبعث حق والقيام بين يدي رب العالمين حق والحساب حق

والجنة حق والنار حق، ومن ينكر ذلك فهو كافر بالله، وإن مات على ذلك يُدخله الله جل وعلا نار جهنم

ويُخلد فيها أبد الآباد ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ

نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ ﴿٣٦﴾ [فاطر].



(الأصل الثالث)

في معرفة نبينا محمد ﷺ:

إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ نَبِيِّكَ؟

فَقُلْ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنْ كِنَانَةَ، وَكِنَانَةُ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ نُوحٍ، وَنُوحٌ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل

عمران].

قال رَحِمَهُ تَعَالَى: (الأصل الثالث) من أصول الإيمان (في معرفة نبينا محمد ﷺ) فمعرفة النبي عليه الصلاة والسلام أصل من أصول الإيمان، وسيُسأل الناس في قبورهم عن هذا الأصل، يُقال: من ربك وما دينك ومن نبيك؟

فمعرفة عليه الصلاة والسلام أصل من أصول الإيمان، وهو عليه الصلاة والسلام رسول الله وخير عباد الله وسيّد ولد آدم أجمعين، وهو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين، فلا نبي بعده ولا رسول: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وهو عليه الصلاة والسلام قد بلغ ما أمره الله ﷻ به أتمّ بلاغٍ وأدّى الرسالة أتمّ تأدية، وما ترك خيراً إلا دلّ أمته عليه ولا شراً إلا حذرها منه صلوات الله وسلامه عليه وجاهد في الله حقّ جهاده، حتّى أتاه اليقين وترك أمته على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالكٌ.

فالإيمان به عليه الصلاة والسلام والرضا به ﷺ رسولا أصل من أصول الإيمان وأساس من أسس الدين، وسيُسأل الناس عنه عليه الصلاة والسلام، وإذا قام الناس يوم القيامة بين يدي ربّ العالمين يُقال لهم: ماذا كنتم تعبدون؟ ويُقال لهم: ماذا أحببتهم المرسلين؟ فالناس يُسألون عن أتباع المرسلين ولهذا لا بدّ من معرفة الرسول ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]، لا بدّ من معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام.

معرفة الرسول أساس في الهداية وعدم معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام أساس في الضلال، الهداية لا تُعرف إلا من طريق الرُّسل، ومن لم يعرف الرُّسل لا يعرف الهداية، الهداية لا تُعرف إلا من طريق الرُّسل عليهم صلوات الله وسلامه، ولهذا من أصول الإيمان معرفة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

قال: (فإذا قيل لك: مَنْ نبيك؟ فَقُلْ: مُحَمَّدٌ ﷺ) أي قل: نبيي هو محمد ﷺ، وهو النبي المصطفى والرسول المجتبي عليه الصلاة والسلام، الذي ختم الله جلّ وعلا به الرِّسالات، وإنّ من نعمة الله علينا أن شرفنا بأن جعلنا من أمته عليه الصلاة والسلام ومن أتباعه ﷺ، فهو عليه الصلاة والسلام أفضل

الأنبياء وأُمَّته أفضل الأمم، قد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ»، الآخِرُونَ في ترتيب النَّاسِ وَالْأُمَمِ، أُمَّته آخر الأمم في الحياة الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ أي يوم القيامة، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أفضل الأنبياء وأُمَّته ﷺ أفضل الأمم، وكرَّمه الله جَلَّ وعلا وأُمَّته بخصائص وميزاتٍ لم تكن لأحدٍ من الأمم قبله وقبل أُمَّته صلوات الله وسلامه عليه.

قال: (فَقُلْ: مُحَمَّدٌ) ﷺ، ثُمَّ ذكر نسبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: (مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنْ كِنَانَةَ، وَكِنَانَةُ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَإِبْرَاهِيمُ مِنْ نُوحٍ، وَنُوحٌ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)، ذكر شيئاً من نسب النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نسبه أشرف الأنساب وأفضلها، والله ﷻ اصطفاها واجتباها في أشرف الأنساب وأعلاها.

وذكر رَحِمَهُ اللهُ تعالى فقال: (وَنُوحٌ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)، آدم هو أبو البشر وقد خلقه الله ﷻ من تراب، والدَّلِيلُ على ذلك قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران]، أي خلق آدم من تراب والله ﷻ إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس]، فأدم عبدٌ لله خلقه من ترابٍ، وذريته كلُّهم عبادٌ لله.

ادَّعى النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى ابْنَ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ مِثْلَ اللَّهِ وَعَبْدُوهُ مَعَ اللَّهِ، فقال الله جَلَّ وعلا في إبطال عقيدة النَّصَارَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾، أي أَنَّهُ عَبْدٌ، والعبد لا يُعْبَدُ، العبادة حقٌّ لله وحده، العباد كلُّهم ليس أحدٌ منهم يستحقُّ العبادة، الأنبياء والملائكة عبادٌ مكرمون والأولياء وغيرهم، كلُّهم عبادٌ لله، والعبد لا يُعْبَدُ، لا يُصَرَفُ له شيءٌ من حقوق الله، ولا يُصَرَفُ له شيءٌ من خصائص الله، ومن صرف شيئاً من حقوق الله أو خصائصه لعبدٍ من عباده يكون بذلك مشركاً كافراً بالله ﷻ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ أَوَّلُ الرُّسُلِ؟

فَقُلْ: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى

نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

ثُمَّ قَالَ: (إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ أَوَّلُ الرُّسُلِ؟) أَيُ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ اللَّهُ ﷻ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْ أَوَّلِ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ؟ (فَقُلْ: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ) عَلَيْهِ السَّلَامُ، (وَالذَّلِيلُ) عَلَى ذَلِكَ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣])، فَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ ثُمَّ تَوَالَتْ بَعْدَهُ الرُّسُلُ إِلَى أَنْ خْتَمُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ، أَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ، وَلِهَذَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ يَقُولُ النَّاسُ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا يَطْلُبُونَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَعْتَذِرُ عَنِ الشَّفَاعَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَالَ: (فَقُلْ: أَوَّلُهُمْ نُوحٌ، وَآخِرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ)، (آخِرُهُمْ) أَيُ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَجَاءَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَالَ: «وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي»، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَخْرُجُ فِي أُمَّتِهِ كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي».

وَفِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ادَّعَى مَسِيلِمَةُ الْكَذَّابُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَخَذَ يَأْتِي بِأَشْيَاءَ يَزْعُمُ أَنَّهَا وَحْيٌ، وَادَّعَى أَنَّهُ يُوْحِي إِلَيْهِ وَصَارَ يُرَكِّبُ كَلَامًا وَيُصِفُ جُمَلًا وَيَسْجَعُ سَجْعًا كَهَّانٍ، وَيَقُولُ: هَذَا وَحْيُ اللَّهِ أَوْحَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيَّ.

وَكَانَ مَرَّةً لَقِيَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ قِيلَ: قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَمْرُو، لَقِيَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَسَأَلَهُ مَسِيلِمَةُ فَقَالَ: مَاذَا أَوْحَى إِلَيَّ صَاحِبُكُمْ؟ أَيُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ: أَوْحَى إِلَيْهِ سُورَةٌ وَجِيزَةٌ بَلِيغَةٌ، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

فَأَخَذَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: أَنَا أَوْحَى إِلَيَّ مِثْلَهَا، ثُمَّ قَالَ: (يَا وَبَرِّ يَا وَبَرِّ، إِنَّمَا أَنْتَ أَذْنَانُ وَصَدْرٌ، وَبَاقِيكَ حَفَرٌ وَنَقْرٌ)، ثُمَّ قَالَ: يَا عَمْرُو مَا رَأَيْكَ؟ الَّذِي يُوْحِي إِلَيْهِ وَهُوَ صَادِقٌ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ مَا رَأَيْهِمْ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِيهِ شَكٌّ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ حَتَّى يَسْأَلَ النَّاسَ عَنْ رَأْيِهِمْ فِي الْوَحْيِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، الْمَسْأَلَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى رَأْيٍ.

وَلِهَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَاءَهُ رَجُلٌ وَقَالَ: إِنَّ مَسِيلِمَةَ الْبَارِحَةَ ادَّعَى أَنَّهُ يُوْحِي إِلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَدَقَ، فَاسْتَرَابَ الرَّجُلُ، فَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، قَالَ: صَدَقَ يُوْحِي إِلَيْهِ، يَعْنِي الشَّيْطَانُ يُوْحِي إِلَيْهِ.

ثُمَّ هَذَا الْكَذَّابُ الْمَفْتَرِي الَّذِي جَاءَ بِكَلَامٍ تَمَجُّهُ أَسْمَاعُ أَهْلِ الْأَوْثَانِ مَعَ كَلَامِهِ الْبَاطِلِ الْعَاطِلِ الْفَاسِدِ، تَبِعَهُ خَلْقٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمَّا تَلَاقَى صَفُّ الْمُسْلِمِينَ وَصَفُّ الْكُفَّارِ أَتْبَاعَ مَسِيلِمَةَ الْكَذَّابِ، كَانَ

عدد أتباع مسيلمة أربعين ألفاً والمسلمين الذين جاؤوا لمقاتلتهم عشرة آلاف. وهذا تعرف به أن الناس والجهال أي دعوة تفتعل تؤثر فيهم بسرعة إلا من حماه الله جل وعلا، وإلا العوام كل صوت يدوي في منطقتهم ويكون له أنصار يؤثر فيهم، العوام يتأثرون بسرعة بأي دعوة أيًا كانت؛ لأنهم في جهل مطبق وفي جهل مخيم، فإذا جاءهم كلام تظاهر به صاحبه بالحق أو الخير أو الدعوة إلى... صدقوه واتبعوه.

فأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يخرج ثلاثون كذابون كلهم يدعي أنه نبي، وهذا العدد المراد به فيمن يخرج وتكون له شوكة، أما الذي يدعي النبوة أكثر من هذا العدد بكثير، لكن الذين تكون لهم شوكة ويكون لهم ظهور ويكون لهم أتباع واشتهار عددهم ثلاثون كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وإلا عبر التاريخ ناس كثير يمرضون وتلف عقولهم، بعضهم يتلف عقله من المخدرات ويصبح مجنوناً ويقول: أنا نبي، فهذا كثير جداً أصحاب العقول التالفة والمختلة ويدعي النبوة ويدعي غير ذلك، ولكن الكلام المقصود به من يكون له شوكة ويكون له ظهور، قال: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي».

قال: (وَأَفْضَلُهُمْ) فنبينا عليه الصلاة والسلام أفضل النبيين وخير وسيّد ولد آدم أجمعين، قد صح عنه ﷺ أنه قال في الحديث: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ».

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بَيْنَهُمْ رُسُلٌ؟
فَقُلْ: نَعَمْ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بَيْنَهُمْ رُسُلٌ؟) يعني هل بين نوح ومحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رُسُلٌ؟ (فَقُلْ: نَعَمْ)
والآية الَّتِي مَرَّتْ معنا ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، فبين نوح ومحمد
ﷺ رُسُلٌ، قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: بَيْنَهُمْ رُسُلٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ
رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]) وقال الله تعالى: ﴿وَلِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤) ﴿فَاطِرُ﴾، قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فيه دليلٌ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ
دَعَوْتُهُمْ وَاحِدَةً، عَقِيدَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، كُلُّهُمْ دَعَاةٌ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَإِلَى الْإِيمَانِ
بِكُلِّ مَا يَأْمُرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِهِ.

فَالْأَنْبِيَاءُ عَقِيدَتُهُمْ وَأَصُولُهُمْ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:
«نَحْنُ الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عِلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ وَأُمَمَاتُنَا شَتَّى»، أي عَقِيدَتُنَا وَاحِدَةٌ، وَقَوْلُهُ: وَأُمَمَاتُنَا شَتَّى أَي
شَرَائِعُنَا مُخْتَلِفَةٌ ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، فَالشَّرِيعَةُ قَدْ تَخْتَلِفُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَى آخَرٍ، أَمَّا
العَقِيدَةُ وَالْإِيمَانُ وَالتَّوْحِيدُ وَالْأَصُولُ وَاحِدَةٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا بَيْنَ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؟

فَقُلْ: نَعَمْ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف].

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ؟

فَقُلْ: نَعَمْ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

هنا ذكر رَحِمَهُ اللهُ سؤاليْن في غاية الأهميَّة، وأراد رَحِمَهُ اللهُ بذكر هذين السُّؤاليْن التحذير من الوقوع في الغلو الذي أخبر النبي ﷺ أَنَّهُ أَهْلَكَ الْأُمَمَ الَّتِي قَبْلَنَا، قَالَ: «وَيَاكُمُ وَالْغُلُوُّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، الغلو هلكةٌ وشرٌّ على الإنسان.

رَحِمَهُ اللهُ تعالى طرح هاتين المسألتين تحذيرًا من الغلو، وكلُّ مسألةٍ من هاتين المسألتين لها مغزى ينبغي أن يُتنبَّه لها قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؟) أي الأولى، والثانية: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ؟) فكلُّ سؤالٍ من هذين السُّؤاليْن له مغزى، ويجب على كلِّ مسلمٍ أن يدرك هاتين الحقيقتين: أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ بَشَرٌ وَأَنَّهُ ﷺ عَبْدٌ، والمصنَّف رَحِمَهُ اللهُ ذكر من القرآن الدليل على أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَشَرٌ وَالِدَلِيلُ على أَنَّهُ ﷺ عَبْدٌ.

قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ بَشَرٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ) أي: نعم هو بشرٌ من ولد آدم، أبوه عبد الله وأُمُّه أَمَنَةُ، فهو بشرٌ ونسبه مرَّ معنا صلوات الله وسلامه عليه فهو بشرٌ، والدليل قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، فهو بشرٌ مثل البشر يأكل ويشرب ويطعم وحاله كحال البشر، أبوه آدم وآدم من تراب، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَشَرٌ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف].

قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ؟ فَقُلْ: نَعَمْ) عبدٌ من عباد الله يعبد الله، عبدٌ ذليلٌ فقيرٌ إلى الله، يعبد الله يركع ويسجد ويدُلُّ لله ويخضع، طلبته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ليلةً فوقعت يدها على قدمه وهو ساجدٌ لله ويقول في سجوده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»، فهو عبدٌ لله جلَّ وعلا، بل هو أكمل عباد الله وأعظمهم طاعةً وتقوى وخشيةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال: (فَقُلْ: نَعَمْ) أي نعم هو عبدٌ، (وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١])، والله ﷻ ذكره بصفة العبوديَّة في مقاماتٍ عديدةٍ من القرآن الكريم ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، فذكره بوصف العبوديَّة في مواضع عديدةٍ من القرآن الكريم، وقد قال في الحديث عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

أشرت إلى أن طرحة رَحِمَهُ اللهُ تعالى لهذين السُّؤالين له مغزى، إذا قيل لك: هل هو بشرٌ وإذا قيل لك: هل هو عبدٌ، هذا الكلام له مغزى ينبغي أن نتفطن له.

* أمّا قوله: هل هو بشرٌ، إذا قيل لك: هل هو بشرٌ، فمغزى هذا السؤال لكي لا يُعطى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شيئاً من خصائص الله، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بشرٌ فلا يُعطى شيئاً من خصائص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لا يُرفع فوق مقام البشرية إلى مقام الرُّبوبيّة، فلا يُعطى من خصائص الله في الخلق والتدبير والعطاء والمنع والتصرف وإحاطة العلم.

سمع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ امرأة تقول: (وفينا رسول الله يعلم ما في غدٍ)، فغضب وقال: «لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ»، فهو بشرٌ ما يُعطى شيئاً من خصائص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هذا مغزى السؤال الأوّل.

* والسؤال الثاني إذا قيل لك: هل هو عبدٌ، له مغزى، ومغزى هذا السؤال أن لا يُعطى شيئاً من حقوق الله وهي العبادة، فهو عبدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والعبد لا يُعبد.

العبادة إنّما تُصرف للربِّ ﷻ، تُصرف لله جلّ وعلا، فإذا قيل لك: هل هو عبدٌ فقل: نعم عبدٌ والعبد لا يُعبد، العبادة ليست للعباد، العبادة لربّ العباد وربّ العالمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، يعني كيف تدعونهم وهم عبادٌ مثلكم، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، قال الله تعالى لنبِيِّه في القرآن: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال النّبِيُّ ﷺ لبتته فاطمة: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً».

الأمر لله وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عبدٌ لا يملك لأحدٍ هدايةً، ولا يملك لأحدٍ نجاةً من النار، ولا يملك لأحدٍ دخولاً إلى الجنة، لا يملك ذلك ولو حرص عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الله قال في القرآن: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، حرص عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يهتدي عمّه واجتهد وسعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في هداية عمّه ومات عمّه على غير الإسلام، مات عمّه وهو يقول: هو على ملّة عبد المطلب، وحزن النّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على ذلك فأنزل الله له تسليّة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصاص: ٥٦]، فالهداية والنّجاة والتّوفيق والصّلاح والرّزق والنّعمة والعافية إلى آخره هذا كله بيد الله ولا يُطلب إلّا من الله ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]، ومع هذا ترى في كثيرٍ من الجهال إذا حصل له ضررٌ أو مرضٌ أو احتاج أو أصابته مصيبةٌ أو نزلت به نازلةٌ يفرع إلى غير الله ويفزع إلى النّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل بعضهم يقول في فزعه إلى النّبِيِّ ﷺ: إن لم تأخذ بيدي من الذي يأخذ بيدي؟ إن لم تُقذني من الذي ينقذني؟ إن لم تمدني من الذي يمدني؟ هل هذا الكلام يقوله من يعي هذه الحقيقة؟! !

إذا قيل لك: هل هو بشر؟ قل: نعم بشر، إذا قيل لك: هو عبد؟ فقل: نعم عبد؛ لأنَّ الشَّيخ رحمة الله عليه يريد أن يرسخ في قلوب النَّاسِ عدم الغلوِّ، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عبد الله ورسوله، عبدٌ لا يُعبد بل رسولٌ يُطاع ويُتَّبَعُ، أمَّا العبادة حقُّ الله جلَّ وعلا لا تُصرف لغيره ﷺ؛ بل بعض الزُّوَّار يأتِي ومعه أوراقٌ مرسلَةٌ إلى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اطلَّعت على بعضها، يطلبون منه ما لا يُطلب إلَّا من الله، الله يقول في القرآن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فيعشون أوراقًا من البلدان ويكتبون فيها: يا رسول الله أنا بحاجة كذا، وأنا بحاجة كذا، وبعضهم يفصل: يا رسول الله أختي فلانة لا تنجب من سنواتٍ أعطها الولد، يا رسول الله أكرم بنتي بالزَّوج الصَّالح البرِّ التَّقِيَّ، يا رسول الله أنا مريضٌ مُصابٌ بكذا اشفني، يا رسول الله أنا أريد بيتًا، ويا رسول الله ويا رسول الله.. طلباتٌ، هل هؤلاء عرفوا هذه الحقيقة أنَّه بشرٌ وأنه عبدٌ؟ لا والله، إذا قيل لك: هل هو بشر؟ فقل: نعم، الدَّلِيلُ القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، هو عبدٌ؟ قل: نعم، الدَّلِيلُ قول الله ﷻ: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

والبشر لا يُعطى من خصائص الله، والبشر والعبد لا يُعبد، العبادة حقُّ الله ﷻ، أحد هؤلاء الَّذِينَ كتب قال في آخر المکتوب قال: في حالة رغبتك في إجابة طلبي عنواني المكان الفلاني: بلد كذا في المكان الفلاني شارع كذا، هذه عقولٌ ضائعةٌ، عقولٌ تاهت في الضَّلال، ومن وراء هذا الضَّياع أئمةٌ سوءٍ ودعاة ضلالٍ قال عنهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ». فمثل هذا الأمر قصد الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ طَرَحَهُ وبيانه حتَّى لا يقع النَّاسُ في الغلوِّ، إذا قيل لك: هو بشر؟ قل: نعم، وإذا قيل لك: هو عبد؟ قل: نعم، والبشر لا يُعطى من خصائص الله، والعبد لا يُعبد، العبادة ليست للعباد، العبادة لربِّ العباد، العبادة حقُّ الله وحده، كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على حماره وأردف معاذ بن جبل معه على الحمار ثمَّ التفت عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى معاذٍ وقال: «يَا مُعَاذُ: أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قال معاذ: أفلا أبشِّر النَّاسَ؟ قال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا»، فالعبادة لربِّ العباد لربِّ العالمين حقُّ الله ﷻ لا شركة لأحدٍ في ذلك.

وَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ عُمْرُهُ؟

فَقُلْ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا، نَبِيٌّ بِإِقْرَأَ وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّتِّ، وَخَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»، فَكَذَّبُوهُ وَأَذَوْهُ وَطَرَدُوهُ، وَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) [البقرة].

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ وَوُلِدَ فِيهَا، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبِهَا تُوفِّي، وَدُفِنَ جِسْمُهُ وَبَقِيَ عِلْمُهُ، وَهُوَ نَبِيٌّ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ، بَلْ يُطَاعُ وَيَتَّبَعُ.

صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لَعَلَّنَا لِحَظْنَا مَلاحِظَةً مَهْمَةً فِي رِسَالَةِ الشَّيْخِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ رِسَائِلِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، كُلُّ مَا يَذْكُرُ شَيْئًا يَذْكُرُ الْآيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، مَرَّةً مَعَنَا: هَلْ هُوَ عَبْدٌ؟ نَعَمْ، الدَّلِيلُ... هَلْ هُوَ بَشَرٌ؟ نَعَمْ... الدَّلِيلُ، كُلُّ شَيْءٍ يَذْكُرُهُ مَعَهُ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَاضِحَةٌ وَصَرِيحَةٌ فِي الْمَقْصُودِ.

وَنَقْفُ الْآنَ وَقَفَةٌ نَرْجِعُ لِلرَّسَالَةِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَتَأَمَّلُ فِيهَا كَمْ آيَةٌ اسْتَدَلَّ بِهَا الشَّيْخُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُخْتَصِرَةِ، قَرَابَةُ ثَلَاثِينَ آيَةً فِي وَرَقَةٍ وَاحِدَةٍ، كُلُّ شَيْءٍ يَذْكُرُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذَا نَتَبَّهُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي حَدِيثٌ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ فليَكُنْ مَنَّا عَلَى بَالٍ عَنَايَةِ الشَّيْخِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي مَصَنَّفَاتِهِ عَمُومًا بِالْقُرْآنِ وَبِالدَّلِيلِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَا يَأْتِي بِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، بَلْ يَأْتِي بِالْحَكْمِ مَضْمُومًا إِلَيْهِ دَلِيلُهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ عُمْرُهُ؟) وهذا فيه التنبيه على أهميّة العناية بالسيرة بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام ودراسة سيرته، وأن هذا باب من أعظم أبواب الخير والرفعة؛ لأن حياته عليه الصلاة والسلام حياة القدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ (٢١) [الأحزاب: ٢١]، قال: (وَإِذَا قِيلَ لَكَ: كَمْ عُمْرُهُ؟ فَقُلْ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً) أي عمره في هذه الحياة الدنيا ثلاث وستون سنة، وهذا أيضًا فيه تأكيد للمعنى السابق وتنبيه عليه وهو أنه عليه الصلاة والسلام بشرٌ، ومدته في هذه الحياة الدنيا نظير غيره من البشر، كُلُّ وَاحِدٍ لَهُ مَدَّةٌ مُحَدَّدَةٌ فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلِدٌ مِنْ أُمَّ وَأَبٍ وَعَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً، ثُمَّ تَوَفَّاهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٠) [الزمر: ٣٠].

لَمَّا مَاتَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَانْتَهَتْ مَدَّةُ حَيَاتِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَانَ مَيِّتًا ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيبًا وَقَالَ كَلِمَتُهُ الْمَشْهُودَةُ الْمَشْهُورَةُ الْمَعْرُوفَةُ، قَالَ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الْقُرْآنِ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، فَأَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

فهذا نستفيد منه فائدة أنه عليه الصلاة والسلام بشرٌ وُلد من أبوين وعاش من العمر ثلاثاً وستين سنة ثم مات ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الرُّم: ٣٠]، ومن قال: إنه عليه الصلاة والسلام لم يمت، فمعنى ذلك أن الصحابة (رضي الله عنهم) دفنوا نبيهم وهو حي لم يمت، وهذا لا يقوله إلا ضالٌّ، النبي ﷺ مات وغُسل وصلوا عليه ودفن صلوات الله وسلامه عليه، وهو حي في قبره حياة برزخية تختلف عن الحياة الدنيوية، أمّا باعتبار الحياة الدنيا مات، والقرآن صريح في ذلك ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

من أراد أن يعبد فالعبادة لمن؟ للحي الذي لا يموت، أمّا الحي الذي يموت والحي الذي قد مات والجماد الذي لا حياة له، كلٌ هؤلاء ليس لهم في العبادة أيُّ أحقية، العبادة حقٌ للحي الذي لا يموت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، العبادة لله ﷻ الحي القيوم، فهذا يُستفاد منه في هذا الباب.

قال: (قُلْ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبَوَّةِ) أربعون سنة من عمره عليه الصلاة والسلام لم يُنبأ فيها، لكنّه كان عليه الصلاة والسلام على الفطرة، ولهذا لم يُعرف عنه عليه الصلاة والسلام فعل ما يفعله أهل الجاهلية، ولم يُعرف عنه عليه الصلاة والسلام الاستقسام بالأزلام، ولهذا قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (من زعم أن محمداً ﷺ كان على دين قومه فقد أعظم على الله الفرية)، ما كان عليه الصلاة والسلام يوماً على دين قومه، لم يستقسم بالأزلام ولم يقع فيما يقع فيه قومه من الضلال، حماه الله وبقي على الفطرة، قال الله تعالى: ﴿فَاقْمْ وُجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٠]، فكان عليه الصلاة والسلام على الفطرة لم يحصل له لا تغيير ولا تبدل صلوات الله وسلامه عليه، فأربعون سنة قبل النبوة وثلاث وعشرون سنة نبياً ورسولاً صلوات الله وسلامه عليه.

قال: (وَتِلْكَ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا) قال: (نَبِيٌّ بِإِقْرَأٍ وَأَرْسَلٍ بِالْمَدَنَةِ) يعني: أوّل ما بدّاه النبوة ونزل عليه الوحي جاءه جبريل وهو يتحنّث في الغار، وقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، هذا أوّل ما نزل عليه صلوات الله وسلامه عليه ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [١]، فهنا نبى عليه الصلاة والسلام، وأمّا الإرسال بعثه للناس ليدعو إلى الله جلّ وعلا فهذا بعد أن نزلت عليه سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَيَا أَيُّهَا فَطَهْرُ (٤)﴾ [المدثر: ١-٤]، فقام يدعو إلى الله ﷻ ويدعو إلى دين الله ويمشي في طرقات مكة ويقول: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا».

قال: (وَخَرَجَ عَلَى النَّاسِ) يعني بعد أن أنزل الله عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢)﴾، (خَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا»)) خرج إلى الناس بالدعوة بالرسالة وأصبح يدعو إلى الله ويُردّد في طرقات مكة: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، ويغشاهم في أنديتهم وتجمعاتهم وأمكنتهم «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، وأوذي عليه الصلاة والسلام في سبيل الله أذى عظيمًا، وهو لا يزال ناصراً لدين الله صادعاً بكلمة الله والدعوة إلى (لا إله إلا الله) لا تأخذه في الله لومة لائم، صلوات الله وسلامه عليه.

قال: (فَكَذَّبُوهُ وَآذَوْهُ وَطَرَدُوهُ)، هذا الذي حصل له من قومه، كانوا يعرفونه بالصادق وبالأمين

ويعرفونه بأحسن الناس خُلُقًا، فلمَّا أعلن هذه الدَّعوة رموه بكلِّ فريةٍ واتَّهموه بكلِّ عَظيمةٍ، قالوا: كاهنٌ وقالوا: ساحرٌ وقالوا: مجنونٌ، وكلُّ من يدخل مَكَّةَ من الغُرباء يسمع هذه الدَّعاية المكثَّفة ضدهُ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، كلُّ من يدخل من الغُرباء يسمع هذه الدَّعاية في الشُّوارع والطُّرقات، كلُّ ذلك صدًّا للنَّاس عن قبول دعوته.

ومن القصص المفيدة في هذا الباب قصَّة ضمام الأَسديّ رضي الله عنه وهي في «صحيح مسلم» وكان سيِّدًا في قومه، يقول: (دخلت مَكَّةَ فكنت كلَّ ما أمرُ بأناسٍ يقولون: محمَّدٌ مجنونٌ)، استقرَّ في قلبه أنَّه رجلٌ مجنونٌ من الدَّعايات، فقلت في نفسي: (إنَّني رجلٌ راقٍ) أرقِّي النَّاسَ معروفٌ بالرقية (وإنَّ الله شفَى عليَّ يديَّ من شاء من عبادِه، لئن لقيت محمَّدًا لأقرَّانَ عليه)، يعني لأرقِّيه، لعلَّ الله يشفيه علىَّ يديَّ؛ لأنَّ كلَّ الدَّعايات حوله مجنونٌ، يقول: (فلقيت محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله فقلت له: إنَّني رجلٌ راقٍ)، أنا رجلٌ معروفٌ بالرقية (والله شفا عليَّ يديَّ من شاء من عبادِه فهل لك أن أرقِّيك؟) تحبُّ أن أقرأ عليك، يعني لعلَّ الله يشفيك علىَّ يديَّ؛ لأنَّ الدَّعاية كلَّها حوله بأنَّه رجلٌ مجنونٌ، ومن يأتي من الغُرباء ما يقربه ولا يأتي إليه، كيف يقرب رجلًا كلَّ النَّاس يصفونه بالجنون أو الكهانة أو السَّحر أو إلى آخره.

لكن هذا ضمام أتى إليه رافةٌ ورحمةٌ من أجل أن يرقِّيه لعلَّ الله يشفيه علىَّ يديه، يقول: (فقلت: هل لك أن أرقِّيك؟ فقال النَّبيُّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»)، قال ضمام: (أعد عليَّ كلامك هذا)، يقول لرجل مجنونٍ: أعد عليَّ الكلام، فأعاد النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله الكلام بتمامه مرَّةً ثانيةً، قال ضمام: (لقد سمعت كلام المجانين وسمعت كلام السَّحرة وسمعت كلام الكهنة ما هذا من كلامهم وسمعت كلام الشُّعراء ما هذا من كلامهم، أعطني يدك أبايعك على الإسلام، قال: «عَنْكَ وَعَنْ قَوْمِكَ»، قال: عني وعن قومي)، وأسلم وأسلم قومه.

فالشَّاهد أنَّه كان فيه دعايةٌ مكثَّفةٌ ضدَّ النَّبيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ وضدَّ دعوته حتَّى ينفر النَّاس منه، حتَّى لا يسمع أحدٌ إلى كلامه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [فصلت]، ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١]، قالوا: ساحرٌ قالوا: كاهنٌ قالوا: مجنونٌ، دعاياتٌ مكثَّفةٌ من أجل الصَّدِّ عن دينه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

قال المصنِّف: (فَكَذَّبُوهُ وَآذَوْهُ وَطَرَدُوهُ، وَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ)، وبهذا نعلم أنَّ الدَّعايات الكاذبة والتُّهم المُغرِضة أسلوبٌ قديمٌ عند أئمة الضَّلال ودعاة الباطل للصدِّ عن الحقِّ والهدى، ولهذا أتباع النَّبيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ حقًّا وصدقًا ينالهم ما ناله عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ من مثل هذه التُّهم.

ولهذا الإمام شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب لم يسلم من ذلك، اتُّهم بتهم كثيرةٍ ودعاياتٍ بُثَّت ضدهُ في العالم وفي النَّاس كذبًا وزورًا، أمَّا الَّذي يقف على كبد الحقيقة وعين الصُّواب يرى أنَّ الشَّيخ

رحمة الله عليه كلما يذكر شيئاً يقول: قال الله تعالى، قال ﷺ، لا يأتي بشيء من عنده، إذا قرأت كتب الطُّرُقِيَّة ومؤلَّفات أهل الكلام وأهل الضَّلال تجد أشياء جاؤوا بها من عند أنفسهم وبتجارهم وبآرائهم، أشياء اخترعوها، واحدٌ يقول: أنا أقترح عليكم أن تفعلوا كذا لأنني رأيت في المنام كذا، أو يحكي لهم قصَّة، أو يروي لهم تجربة، أو يبيني على خبرة، أو.. إلى آخره.

أمَّا الشَّيخ رحمة الله عليه ليس عنده شيء من ذلك، يقول: افعلوا كذا قال الله تعالى كذا، لا تفعلوا كذا قال الله تعالى كذا، كلُّ رسائله مبنية على الآيات والأحاديث، لم يأت بشيء من عنده، لكنَّ الدَّعايات المُغرِضة جعلت النَّاس ما يقرؤون شيئاً من كتبه بسبب الدَّعايات، وهذه الطَّريقة هي طريقة قديمة، الأنبياء وأتباع الأنبياء لا يزالون تُدار وتُحاك حولهم التُّهم والدَّعايات المُغرِضة حتَّى ينفر النَّاس منهم وينفضُّوا من حولهم ولا يقبلوا لهم قولاً ولا يسمعون لهم كلاماً.

قال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾﴾ [البقرة: ٢٣] وهذا الميزان العدل ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي في شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، تحدَّاهم الله جلَّ وعلا أن يأتوا بسورة، وتحدَّاهم أن يأتوا بعشر سورٍ من مثله، وتحدَّاهم أن يأتوا بآيةٍ وعجزوا.

ومرَّ معنا محاولة مسيلمة وقول عمرو بن العاص: والله إنَّك تعلم أنِّي أعلم أنَّك كاذب؛ لأنَّه كلامٌ ممجوجٌ وكلامٌ سخيْفٌ، أمَّا كلام ربِّ العالمين فكلامٌ حقٌّ وكلامٌ بليغٌ وكلامٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كلامٌ متشابهٌ يؤيِّد بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعضٍ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

قال: ﴿وَبَلَدُهُ مَكَّةُ وَوُلِدَ فِيهَا﴾ وُلِدَ في مَكَّة (وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبِهَا تُوفِّيَ)، فهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وُلِدَ في مَكَّة، بشرٌ ﷺ وُلِدَ في مَكَّة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بالمدينة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ توفِّيَ، ودُفِنَ ﷺ فيها وقبره أوَّل قبر ينشَقُّ، وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أوَّل من يقوم لربِّ العالمين صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

﴿وَدُفِنَ جِسْمُهُ﴾ أي في القبر، ﴿وَبَقِيَ عِلْمُهُ﴾ علمه والدين الذي يدعو إليه باقٍ ومحفوظٌ بحفظ الله ﷺ، ولا يزال لدينه أنصارٌ وأعوانٌ، قال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» فدينه باقٍ، مات عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ودُفِنَ جسمه أمَّا دينه باقٍ: من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، الدين باقٍ والدين قائمٌ ومحفوظٌ بحفظ الله ﴿إِنَّا خَلَقْنَا النَّاسَ لِنُذَكِّرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال: ﴿وَهُوَ نَبِيٌّ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ﴾ وهو نبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو عبدُ العبد لا يُعبد ﴿وَرَسُولٌ لَا يُكَذَّبُ﴾ انتبه للأمرين، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، عبدٌ نستفيد منها فائدة أي أنَّه لا يُعبد ورسولٌ نستفيد منها فائدة وهي أنَّه يُطاع ولا يُكذَّب ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴿[النِّسَاء: ٦٤]﴾، مَا قَالَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُعْبَدَ!! لَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ٨٠]، فَهُوَ عَبْدٌ لَا يُعْبَدُ بَلْ رَسُولٌ يُطَاعُ وَيُتَّبَعُ وَلَا يُكَذَّبُ بَلْ يُطَاعُ وَيُتَّبَعُ، وَأَهْدَى النَّاسَ سَبِيلًا وَأَقْوَمَ النَّاسَ قِيْلًا مَنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ هَذَا الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ السَّائِرِينَ عَلَى نَهْجِهِ الْمُلَازِمِينَ لِهَدْيِهِ الْبَعِيدِينَ عَنْ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ.

ثُمَّ خَتَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ النَّافِعَةَ الْعَظِيمَةَ الْمَشْتَمِلَةَ عَلَى هَذِهِ الْخُلَاصَةِ الْمُبَارَكَةِ فِي الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: (صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَجَمَعَ مَعَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ الصَّلَاةُ عَلَى الْآلِ وَالْأَصْحَابِ، وَأَيْضًا الرِّسَالَةَ بِدَافِعِهَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمِنْ الدَّعَايَاتِ الْمَغْرُضَةِ الَّتِي تُبَيِّنُ حَوْلَهُ يَقُولُونَ: يُبْغِضُ آلَ الْبَيْتِ، إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ يُبْغِضُ آلَ الْبَيْتِ وَيَكْرَهُ آلَ الْبَيْتِ، وَيَنْشُرُونَ ذَلِكَ فِي النَّاسِ حَتَّى لَا يَسْمَعَ النَّاسُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْقُرْآنِ وَالْحُجْجِ وَالْأَدْلَةِ.

إِذَا قَرَأْتَ سِيرَةَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَوْلَادَهُ تَعْرِفُ حَبَّةَ لَالِ الْبَيْتِ، وَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابَهُ وَمَوْلاَفَاتِهِ تَعْرِفُ حَبَّةَ لَالِ الْبَيْتِ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ رُزِقَ بَعْدَ مِنَ الْأَوْلَادِ وَ(بَنَاتٍ وَاحِدَةً!!)، مَا أَسْمَاءُ أَوْلَادِهِ؟ حَتَّى نَعْرِفَ الدَّعَايَةَ وَالْحَقِيقَةَ، مَا أَسْمَاءُ أَوْلَادِهِ؟ أَوْلَادُهُ عَلِيٌّ، الْحُسَيْنُ، الْحَسَنُ، فَاطِمَةُ، عَبْدُ اللَّهِ، إِبْرَاهِيمُ، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَوَاحِدٌ فَقَطْ اسْمُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَالدَّعَايَةُ الَّتِي تُبَيِّنُ مِنْ أَجْلِ الصَّدِّ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى يَقُولُونَ: لَا يُحِبُّ آلَ الْبَيْتِ وَيَسُبُّ آلَ الْبَيْتِ، هَذَا الْكَلَامُ قَالَهُ لِي شَخْصٌ فِي إِحْدَى الْبُلْدَانِ، قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَسُبُّ أَهْلَ الْبَيْتِ، قُلْتُ: يَسُبُّ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَذَكَرَ كَلَامًا آخَرَ، وَطَالَبْتُهُ قُلْتُ: أَعْطِنِي كِتَابًا لَهُ بِهَذَا الَّذِي تَقُولُ، ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِحَقَائِقِ دُهْشِ الرَّجُلِ، وَقَالَ: يَعْنِي مَا هُوَ صَحِيحٌ؟ قُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَسْأَلُنِي؟ أَنْتَ الْآنَ تُخْبِرُنِي أَنَّهُ يَسُبُّ أَهْلَ الْبَيْتِ، قُلْتُ: اتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنْتَ خَصَمٌ لِهَذَا الْإِمَامِ مَعْرُوفٌ بِإِمَامَتِهِ وَفَضْلِهِ وَعِلْمِهِ وَمَكَانَتِهِ وَدَعْوَتِهِ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَمْشِي أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعَايَةِ الْكَاذِبَةِ تَفْتَرِي عَلَى هَذَا الْإِمَامِ وَتَرْمِيهِ بِالْكَذِبِ وَالزُّورِ، مَا تَخَافُ اللَّهَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَالشَّاهِدُ أَنَّ الدَّعَايَاتِ الْكَاذِبَةَ كَمْ فَعَلْتَ فِي الصَّدِّ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا رِسَالَةٌ مُبَارَكَةٌ وَعَظِيمَةٌ جَمَعَتْ الْأَصُولَ الثَّلَاثَةَ، وَكُلُّ مَا قَرَّرَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهَا كُلُّهُ بِالْدَّلِيلِ وَقَدْ عَدَدْنَا قَبْلَ قَلِيلٍ الْأَدْلَةَ الَّتِي سَاقَهَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي هِيَ فِي وَرَقَتَيْنِ، فِيهَا كَمْ دَلِيلًا مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَرَابَةُ الثَّلَاثِينَ دَلِيلًا، وَتَرَى فِي النَّاسِ الْآنَ كَتَبُ فِي الْعَقَائِدِ لَيْسَ فِيهَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يُزَعَمُ أَنَّ أَوْلَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مِنَ الَّذِي يُحِبُّهُ أَكْثَرُ؟ فَالْإِنْسَانُ إِذَا وَزَنَ الْأُمُورَ بِمَوَازِينِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ يَتَبَيَّنُ لَهُ الْحَقُّ وَالْهُدَى.

وَنَتَوَجَّهْ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ يُوَفِّقَنَا جَمِيعًا لِهَدَاهِ، وَأَنْ يَبْلُغَنَا رِضَاهُ، وَأَنْ يُصَلِّحَ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَأَنْ يُحْيِيَنَا مُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَتُوفَّاَنَا مُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَزَيِّنَا

بزينة الإيمان، وأن يجعلنا من عباده المتقين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

ونسأل الله جلّ وعلا أن يغفر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ ولجميع علماء المسلمين، وأن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايعنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَفُورٌ رَحِيمٌ، والله أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.